# خواطر

## تجليات ربانية في الآيات القرآنية

رؤية: د. م. محمد وجدي شاهين

تصميم الغلاف: روان محمد شاهين

رؤية : د.م. محمد وجدي شاهين

الطبعة الأولى – ٢٠١٧

الناشر : ماهي للنشر والتوزيع

رقم الأيداع :

الترقيم الدولي :

مراجعة لغوية : دار ماهي للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف : روان محمد شاهين

جميع الحقوق محفوظة وفقا لرخصة جنو للوثائق الحرة وأي أقتباس أو أعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إليكترونية أو بأي وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من المؤلف ، يعرض صاحبه للمسائلة القانونية.

# الإهداء ...

تعودنا دائما علي إهداء كتاباتنا إلي من أثروا فينا وساعدونا علي إخراج مكنونات أفكارنا وبلورتها في كتاب ندين به بالفضل لهم .

فإن أهديت هذا الكتاب إلي أساتذتي الذين كان لهم فضل تعليمي وتثقيفي ووضعي علي أول طريق العلم . . فهذا لن يكفيهم أبدا حقوقهم وفضلهم علي شخصي وشخصيتي .

وإن أهديته لوالدي ووالدتي وهما من زرعوا في منذ صغري حب العلم ومخافة الرحمن والإقبال علي الطاعات ، فهذا والله لن يكفيهم أبدا فضلهم ولو أهديتهم ألف كتاب .

وإن أهديته إلي العلماء والمشايخ الذين تتلمذت علي يديهم ، فما هذا إلا كقطرة ماء في بحر علومهم ، نفعنا الله بهم وبعلمهم .

لهذا ، فإنني أهدي هذا الكتاب إلي من بصرني وقدرني وعلمني وقواني وفتح علي شخصي الضعيف وأنا أكتب هذا الكتاب . . .

إليك ربي يكون الفضل في كل ما أتيتني ، وإليك ربي أجعل هذا الكتاب صدقة جارية في سبيلك ، فإن النفع لا يكون إلا بك إذ العلم كله منك والحكمة لا تؤتي إلا بمشيئتك لمن قدرت له وقدرته عليها . . . ! !

اللهم تقبل مني هذا الكتاب خالصا لوجهك الكريم ، فإن كان فيه نفع للناس ، فالفضل كله منك وإليك ، وإن كنت قد أخطأت أو غفلت أو أغفلت، فأنت العالم بمكنون الأنفس وصدق النوايا فأنت . . . أنت علام الغيوب بيدك الأمر . . . فأكتب لنا الصلاح من أمرنا بفضلك ولطفك يا رحمن يا رحيم يا الله . . . . . . يا حي يا قيوم .

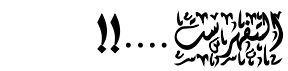

# الفهارس.....!!


| الفصل | الموضوع | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| المقدمة | | ٧ |
| ١- | إلا ماشاء ربك | ٩ |
| ٢- | فأراد ربك | ١٤ |
| ٣- | وكان الإنسان أكثر شيء جدلا | ٢١ |
| ٤- | ولإن رددت إلي ربي | ٢٥ |
| ٥- | ويعفو عن كثير | ٢٩ |
| ٦- | ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع | ٣٣ |
| ٧- | ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله | ٣٧ |
| ٨- | وزين لهم الشيطان أعمالهم | ٤١ |
| ٩- | أفلا يعقلون | ٤٦ |
| ١٠- | ويتفكرون في خلق السموات والأرض | ٥٤ |
| ١١- | ولا تجد أكثرهم شاكرين | ٥٨ |
| ١٢- | أعدت للمتقين | ٦٢ |
| ١٣- | أجيب دعوة الداعي . . . إذا دعاني | ٦٩ |

| | | |
|---|---|---|
| ١٤- | إن مع العسر يسرا | ٧٥ |
| ١٥- | مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم | ٨٢ |
| ١٦- | إلا عباد الله المخلصين | ٨٩ |
| ١٧- | قد أفلح من زكاها | ٩٣ |
| ١٨- | أن يقولوا أمنا . . . وهم لايفتنون | ٩٧ |
| ١٩- | الحمد لله رب العالمين | ١٠٣ |
| ٢٠- | ومن شكر . . . فإنما يشكر لنفسه | ١١٢ |
| ٢١- | ومن يتق الله . . . . . يجعل له مخرجا | ١١٦ |
| ٢٢- | إلا من أتي الله . . . بقلب سليم | ١٢٢ |
| ٢٣- | فإذا مس الإنسان ضر . .دعانا | ١٢٩ |
| ٢٤- | لاتقنطوا من رحمة الله | ١٣٥ |
| ٢٥- | يرزق من يشاء بغير حساب | ١٤١ |
| ٢٦- | تؤتي الملك من تشاء | ١٤٦ |
| ٢٧- | لآيات لكل صبار شكور | ١٥٢ |
| ٢٨- | أن تحكموا بالعدل | ١٥٨ |
| ٢٩- | زين للناس حب الشهوات | ١٦٢ |
| ٣٠- | وماكان لي عليكم من سلطان | ١٦٧ |

# المقدمة ....!!

أعتقد أن إحدي أيات القرآن ودلائل عظتمة هي في وجوده بين أيدينا دليلا لنا قبل أن يكون دليلا علينا . . . ـ ! !

فكل من أراد الهداية ، لايحتاج لأكثر من أن يقرأ في كتاب الله ويتدبر أياته وقد أسلم وجهه لله طالبا منه الهداية .

عندما يقول المولي سبحانه أنه يهدي من يشاء ، قد يقرأها الكثيرون علي أن المقصود أن الله يهدي أليه من يشاء هو سبحانه . ولكنني عندما أقرأها ، فإنها تقع في قلبي بأن العزيز الحكيم يهدي أليه من يشاء أن يسلك طريق الهداية ، من إختار طريق الهداية وقَبل أن يدفع ثمن أختياره .

فالعجيب في الأمر أن القرآن متاح لكل خلق الله ، لكل من أراد أن يهتدي به كما هو متاح لكل من أراد أن يتحداه . ولكن ما لا يعلمه الكثير ، أن القرآن لا يبوح بأسراره إلا لمن أراد فعلا أن يصل إلي اليقين سواء بالتصديق في القرآن أو حتي لمن أرادوا أن يتحدوه ليصل بهم تحدياتهم إلي البرهان الذي يهديهم إلي اليقين .

فللقرآن نفحات وتجليات يكشفها الرحمن لمن شاء أن يهتدي . . وأسأل الرحمن أن أكون منهم ،فإن أصبت فالحمد لله علي أن بصرني . . . وإن أخطأت ، فالحمد لله أن بصربي .

# ١- إلا ما شاء ربك ...!!

قررت هذه الأيام أن أتوقف عن القراءة العامة . وأن أبدأ في قراءة القرأن والتعمق في أياته ودراسة معانيه . . . لماذا . . . لا أعرف . . . . ولكنني سعيد لهذا القرار الذي لم أخذه بأرادتي ولكنني أشعر أنني قد دفعت له دفعا . . . . سبحان الله .

فتحت المصحف فإذا بي أقف علي بدايات سورة هود ، إنها السورة التي أبكت حبيبي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فبدأت القرأة وأنا لا أعلم لماذا أو ماذا أفعل ، ولكنني كنت أقرأ كمن ينتظر حدوث شيء لا يعلم ماهو . . . . . فقرأت حتي استوقفني بعض الأيات التي عجزت عن فهمها أو دعوني أقول عجزت عن الإقتناع بتفسيرها :

**﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إ. نَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ، وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلاَّ لأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ، يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾**

والسؤال الذي توقفت عنده وجعلني أشعر بالخوف الشديد كان حول الخلود . . . . . ! !

فجميعنا يعلم أن الخلود في النار هو حق علي بعض الأقوام الذين حق عليهم العذاب كفرعون الذي سيقدم قومه مثلا وعاد وثمود وغيرهم ممن حق عليهم القول . بينما نحن أيضا علي يقين أن عصاة الأمة سيدخلون النار ثم ينتقلون إلي الجنة برحمت الرحمن الرحيم سبحانه وتعالي وشفاعة الحبيب صلي الله عليه وسلم .

إذا عندما يقول المولي فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك ، فهذا حق لإن المشيئة ستخرج بمن رحم ربي من النار إلي الجنة بعد حين.....

ولكنني لم أفهم أبدا كيف يمكن أن يكون ذلك في الجنة أيضا ؟ ؟ ؟ ؟

عندما يقول الخالق سبحانه وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك . أولسنا خالدين في الجنة ، فماهي المشيئة الألهية في أمر الخلود في الجنة . هل سنخرج من الجنة كما سيخرج عصاة الأمة من النار . . . . . ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

سؤال حيرني وأتعبني . . . . ولم أجد له أي جواب أو إشارة تهدي إلي التفسير .

شغلتني جدا هذه الأية . . . وشغلني جدا أمر الخلود في الجنة حتي أنني قرأت تفسيرها في ثمانية كتب للتفاسير لأبن كثير والطبري والجلالين والقرطبي وخواطر الشيخ الشعراوي والسيوطي وتفسير بن باز كما وإستمعت لبعض تفسيرات الشيخ محمد حسان . . . . . .

والحق أقول أنني لم أقتنع بأي من هذه التفاسير الذين يجمعون في غالبهم علي أن المشيئة قد ذكرت لكي يعي الأنسان ما من به الله سبحانه عليه بدخوله الجنة برحمته لا بعمله ، ماعدا الإمام الشعراوي الذي جعل من المشيئة فضلا للتدرج في مراحل الموت وحتي البعث حيث يكون فضل الله علي الإنسان أن تقضي مشيئته أن تُقضَي حياته وتقبض روحه كقبض المؤمنين ويكون قبره روضة من رياض الجنة وفي هذا تدرج يمن به الله علي من يشاء من عباده المؤمنين . . . . . تفسير مختلف ولكنني لا زالت غير قانع

ولهذا عشت لفترة طويلة من الزمن وقد شغلتني هذه الأيات وأنا أحاول أن أتمعن في معانيها لعلني أجد ما أقنع به بدون أن أشرد عن ماذكره الأئمة من إجتهادات لأنني في حقيقة الأمر لا أقتنع أن هناك تفسير للقرآن وإلا إنتفت معجزته . فالقرآن يصلح لكل زمان ومكان وهو مايعني أنه لا يوجد تفسير للقرآن ، فكل ماذكره أئمة الأمة كان في أسباب النزول وماصاحب نزول هذه الأيات من تأويلات والبعض ذهب إلي التفسيرات اللغوية لكلماته ، ولكن تفسير أيات القرآن هو معجزة يجريها العزيز القدير علي يد من يشاء كلا في زمنه ليثبت لنا أن القرآن معجزة تصلح حقا لكل الأمنة . فلو كان القرأن يفسر ، لكان أولي الخلق بتفسيره ، هو من أُنزِلَ عليه ، وهو يعلم مفاتحه و مقاصده ومعانيه . ولكنه صلي الله عليه وسلم ، لم يفسره لأنه يعلم أن به من الأيات ماستفسرها السنون وإجتهاد من يختصهم الرحمن بحكمته عندما يحين وقت تجلي الآيات .

حتي كان هذا اليوم الذي وجدتني وقد إسترحت إلي ما فهمته من معني الخلود . الأمر الذي أراحني كثيرا وشعرت معه بالهدوء النفسي، فشجعني ذلك علي أن أبدأ في هذه السلسلة من التمعن في معاني القرآن راجيا من الله الهداية والتوفيق وأن يجعلها في ميزان حسناتي وأن يتقبل هذا السعي الذي لا أقصد به إلا وجه رب كريم . . . . اللهم أمين .

إن منزلة الإنسان في الآخرة تُقضَي عند الحساب ليدخلنا الرحمن بعدله كل في درجته سواء في الجنة أو في النار فلكل منا درجة في الجنة إن شاء الله كما أن للبعض الآخر درك من دركات النار – وقانا الله أياها إن شاء الله – فإذا ما إنقضي الحساب خلد كل منا في درجته في الجنة أو في الدرك الذي سيقضي به إليه في النار .

وإذا ما إنقضي الحساب فلا مجال أبدا لإن ننزل درجة لإن الله هو العدل ولإننا قد إجتزنا مرحلة العمل فيكون كل منا مخلدا في درجته إلا ماشاء الله . . . . . والمشيئة هنا تعني الترقي في الدرجات وهذا هو المعني الذي أهتديت إليه .

بعد أن يمكث العاصيين من الأمة في الدرك الأعلي من النار حتي حين . . . . . يقضي الله سبحانه فيخفف عنهم ويترقوا درجة ليدخلوا أولي درجات الجنة وهذا هو ما نعلمه أن أمة محمد سيكون مثواها إلي الجنة ولو بعد حين .

والأمر كذلك يضا في الجنة ، فكل منا سيدخل في درجته إلا ماشاء الله ليرتقوا في درجات الجنة ويلحقوا بأهليهم تصديقا لقول العزيز الحكيم :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾

أي أن من أمن وصدق في عمله وتبعتهم ذريتهم بالأيمان ، سيلحق العزيز القدير ذريتهم بهم في جنته وهو مايعني أن ذريتهم سيرتقون درجات . . . . . وهذه هي المشيئة التي نصت عليها الآية . إذا ، فالمقصود من المشيئة هنا هي مشيئة الخالق في الترقي بعباده درجات بعد أن قضي بينهم بالحساب العدل فيصيب الترقي أهل الدرك الأعلي من النار ليدخلوا أولي درجات الجنة كما تصيب المشيئة أصحاب الدرجات الدنيا في الجنة ليرتقوا إلي الدرجات العلا ويلحقوا بأهليهم تنفيذاً لوعد الله الحق . . . . . والله أعلم

هذا إجتهادي . . . . . أخطئ وأصيب . . . . ولكنني قد إسترحت لهذا التفسير الجمع لما ذكر في كتب التفسير التي ذكرتها سابقا . . . . . اللهم تقبل مني وأجعلنا جميعا ممن أنعمت عليهم برحمتك ومغفرتك وأدخلتهم الجنة بدون حساب . . . ولا سابقة عقاب ولا عتاب . . .

اللهم أمين . . . . . .

## ٢- فأراد ربك ...!!

أعتقد أن أسرار سورة الكهف كثيرة جدا ولا يستطيع إنسان أن يصل أليها أبدا مهما أوتي من علم لأن سورة الكهف هي من السور التي تحوي مفاتيح خاصة لأهل العلم . في قراءة لسورة الكهف (٧٣ – ٧٦) ، توقفت عند قصة سيدنا الخضر عندما قال:

**﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾**

أردت . . . . . . أردنا . . . . . . . . أراد ربك . . . . ماهذه البلاغة ، ما هذا الإبداع ، ما هذه القوة في البيان . . . ! ! !

لماذا نوع الخضر عليه السلام من بيان حال الإرادة في كل قصة . . . . . التفاسير كثيرة وكلا ذهب إلي بيان الأراء سواء اللغوية أو التفسيرية حسب إجتهاده ورؤيته ، ولكنني في الحقيقة حاولت أن يكون لي بعض من الإجتهاد في الجمع بين هذه الأراء:

الإرادة في العموم هي العزم علي فعل شئ . . . أو الإقدام علي فعل شئ

فإذا تمعنا في معني كلمة الأرادة لعلمنا أن إثبات الإرادة هو . . . . الفعل . . . . . فإن أردت شئ ولم أفعله . . . . لم تكن إرادة . . . بل تمني أو نوايا أو أحلام أو رغبات . . . . أو قد تكون أيضا دعوات

فعندما يقول الإنسان أنه يريد فعل شئ فهذا يعني أنه يود أن يفعل هذا الشئ أو يتمني أن يفعله . أما عندما يقوم الإنسان بفعل هذا الشئ حقا، فهنا تقع الإرادة لأننا إن أردنا فعلنا فإن لم نفعل نكون تمنينا أن نفعل وبين هذا وذاك فارق كبير

هل وضحت الفكرة أم أنها تحتاج للبعض من التفسير . الفكرة ببساطة هي في مدلول إستخدام لفظ أردت لأننا عندما نقول أردت فهذا يعني وقوع الفعل ، فعندما أقول أردت شيئا فهذا يخبر بأنني قد فعلت هذا الشئ بقراري ورغبتي . أما عدم وقوع الفعل فهي تعني فقط النية أو الرغبة أو كأنها إرادة منقوصة لم تكتمل .

لهذا عندما تحدث الخضر عن أردت . . . . . فهذا هو الفعل الذي قام به بناء علي رغبته في إنقاذ المساكين بعد أن أخبره العزيز القدير عن هذا الملك الذي يأخذ كل شئ غصبا . . . . فعندما تلاقت رغبته في إنقاذهم مع فعله بإحداث عيب في السفينه ، كانت هذه إرادته بناء علي ماوصله من علم وكأن الإرادة تعني تلاقي الرغبة مع الفعل الذي يحققها .

ولكن عندما وصله أمر الغلام الذي سيرهق والديه طغيانا وكفرا . . . . فقد تولدت لديه الرغبه في إنقاذ والديه المؤمنين ولكنه لم يكن يعلم كيف يمكن ذلك . ولكن لإن الخضر لم يكن للغيب عالما ، فقد أطلعه العزيز القدير علي قضائه بأن يبدل هؤلاء الأبوين المؤمنين خيرا من هذا الغلام فتلاقت رغبة الخضر في خلاص الوالدين مع قضاء الله بإبدالهما خير منه عن طريق الفعل الذي قام به ليس عن قناعة ، بل عن طاعة . . . . فكان القول . . . . . فأردنا . . . سبحان الله .

هل لو أمر العزيز القدير الخضر عليه السلام بقتل الطفل فقط ، هل كان يمكن للخضر أن يقول أردنا ؟ ؟ ؟ أعتقد أن الإجابة واضحة جدا لأن الإرادة هنا هي فقط الإرادة إلهيه ولكن عندما أخبره الله سبحانه وتعالي بقدر هذا الطفل بأنه سيكون شقي وأنه سيكون سبب شقاء لهذين الأبوين تجلت رغبة الخضر في خلاص هذين الأبوين المؤمنين كما تجلت رحمة الرحمن الرحيم في أن يرحم هذا الطفل من قدره بأن جعله يموت ولم يبلغ الحلم فيكتب عند خالقه سعيدا بالرغم من أنه قد حق عليه القول بأن يحيا إن حيا شقيا . . . .

ولكن كيف يمكن تبديل قدر الوالدين والولد أيضا ؟ ؟

بعلمنا البشري فأننا لا يمكن أن نغير من قدرنا مهما أوتينا من علم ، ولكن بعلم علام الغيوب يكون قضائه الذي ترفضه طبيعتنا البشرية ونحن نري في قتل نفس بغير نفس جريمة

بشرية ، ولكنها بعلم علام الغيوب تكون منتهي الرحمة وهذا هو قمة التسليم لأمر الله والقبول علي الله بعلمه حتي ولو لم يتوافق علمه مع كل ماوصلنا من علوم .

هكذا كان أمر العليم الحكيم للخضر بأن يقتل الطفل حتي يقع قضاء الله اللاحق فتتحقق رغبة الخضر الحالية في خلاص الوالدين من شقائهم بسبب طفلهم الذي كتب عند الله شقيا بالرغم من أنه لم يعلم أن هذا القتل يحقق في الأساس رحمة الرحمن الرحيم لهذا الطفل إكراما لوالديه الصالحين بينما يكون الوعد الألهي بأن يبدلهما خير منه جزاء لما سبق من عملهما الصالح وما يتحقق من صبرهما علي أبتلائهما بفقدان أبنهما وهما لايعلمان من قدره شئ . . . . . لا إله إلا الله . . . سبحان من يعلم ما لا نعلم .

أما في قصة الجدار . . . فالأمر قد أختلف عن ماسبق عندما خرج الأمر من العلم الذي يحقق الإرادة كما في قصة السفينة ، والعلم الذي يتوافق مع الإرادة كما في قصة الطفل إلي العلم الذي يثبت الإرادة . . . ! !

لقد كان علم الخضر في هذا المقام هو علم الخبر وليس علم المدلول . لم يعلم الخضر من أمر الجدار إلا أن يقيمه لأجل كان مكتوبا . لم يكن العلم الذي أتاه العليم الحكيم للخضر في هذا المقام هو العلم الذي تتحقق به إرادة الفعل البشري ، بل أن العليم الحكيم أتاه العلم الذي يستطيع أن يثبت به إنصياعه لأرادة الخالق حتي وإن لم يدرك حكمتها ولم يري نتائجها وهذا هو حقيق الأيمان بحكمة القدير الحكيم .

ماذا أراد الخضر أن يقول لنبي الله موسي عليهما السلام . . . ماهو الدرس الذي أراد الخضر أن يعلمه أياه . . . ؟ ؟ ؟

أردت . . . . أردنا . . . . أراد ربك . . . ! ! !

إن إتفاق الأرادة البشرية مع الإرادة الألهية لا تكون أبدا عن علم ، بل تكون عن عطية ألهية تختلف من حال إلي حال ولكنها علي أختلاف الأحوال لا تثبت أبدا مقدار ما وصلنا من علم ولكنها تثبت جميعها أرادة الخالق بما أتانا من علم كما تثبت مدي قبولنا لحكمة الله حتي وإن لم نعلمها .

إن ألتزامنا بالأوامر الآلهية لا علاقة لها بما يصلنا من علم بحكمة هذه الأوامر . لأن الله قد يبصرنا بما يجعلنا نختار الطريقة التي ننفذ بها مشيئته كما أخبر الخضر بأن هناك ملك يأخذ كل سفينة غصبا وتركه ليقرر كيف يمكن أن يساعد أصحاب السفينة لتصبح إرادته بالأختيار ليست إلا تنفيذ لإرادة المولي بالتسيير .

كما وأنه سبحانه قد يزيد في العلم لمن شاء من عباده بالقدر الذي يؤهلهم لتقبل حكمه حتي وإن لم يتفق قضاء الله مع منطقنا البشري ، ولكن هؤلاء هم من أختصهم العزيز القدير بنعمة الإستزاده في العلم لنجدهم وقد وصلوا إلي مرحلة أعلي من توافق أرادتهم مع أرادة الخالق في تنفيذ أحكامه عن تسليم بأن أرادتنا البشرية المبنية علي ما وصلنا من

علم يحكمها إرادة ألهية تنبع من علم رباني قد قدر في الأزل لا نصل أليه بعلمنا ولكن تصلنا حكمته علي قدر أيماننا .

أما عباد الله المُخلَصِين ، فهؤلاء هم من يتجردون من علمهم إلي علم علام الغيوب ويجعلون حكمتهم ليست إلا فيض من حكمة الحكيم القدير فيقبلون أن تكون أختياراتهم هي في قبول ما قد قدر وهؤلاء هم أهل الوعد جعلنا الله منهم إن شاء .

لم يكن الدرس الذي أعطاه الخضر لرسول الله موسي عليه السلام يتحدث عن أعلم أهل الأرض ولا عن أنه فوق كل ذي علم عليم فقط ، ولكن الدرس كان أعمق وأقوي عندما عمد الخضر إلي أن يتدرج بكليم الرحمن من فكرة العلم البشري المحدود إلي العلم الرباني اللدني الذي لا يحده حدود .

كان الدرس أعمق من كونه أخبار بحدود علم سيدنا موسي إلي كونه إقرار بلا حدود علم رب موسي .

لم يطلب الخضر من سيدنا موسي الإقرار بالعلم ، بل طلب منه الصبر علي ما لا يعلم وهذه هي الحكمة من وراء هذه القصة التي يغفلها أكثر الناس . فبالرغم من أن كل الأحداث تدور عن العلم الرباني الذي لا نملكه ولا ينبغي لنا أن نملكه ، ولكن الخضر

كان محددا جدا في طلبه من سيدنا موسي بأن يصبر علي ما لا يعلمه حتي يكتمل علمه المحدود بعلم من علمه خارج المحدود .

إن حكمة الرحمن الرحيم لا تحتاج منا علم لكي نقبلها ، ولكنها فقط تحتاج منا اليقين بأنه هو الرحمن الرحيم الذي قضي لنا برحمته من كل أمرنا خيرا ، وأن جل ما هو مطلوب منا هو في أن نصبر علي ما لا نعلمه حتي يكون لنا من أمرنا خيرا .

ما أبلغ كلام الله وما أعظم معانيه . إقرأوا القرأن وإستمتعوا بمعانيه وستجدون أنه فعلا له حلاوة و أن عليه لطلاوة . . . . . إن نحن فقط تدبرنا معانيه .

## ٣- وكان الإنسان أكثر شيء جدلا....!!

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

من أبلغ الأيات التي تقر حقيقة خلق أبن أدم . . . . . سبحان الله

إختلف العلماء في تفسير هذه الأية ، فمنهم من قال أن الإنسان هو أكثر شئ أي أكثر مخلوق جدلا إذا ماقورن بالجن و بني أبليس وبالملائكة وباقي المخلوقات من العجم وأن أكثر شئ قد قصد بها العزيز القدير أن يشعرنا بدونيتنا . . . . . أكثر شئ . . . لإننا في الأصل . . . . لاشئ كما جاء ذكره في تفسير الجلالين ولكن بعض العلماء ذهبوا إلي أن أكثر شئ جدلا يقصد بها أنها الطبيعة الغالبة علي إبن أدم أي أن أكثر فعله هو الجدال سواء في بالحق أو بالباطل .

وفي تفسير القرطبي والطبري ذهبوا إلي أن المقصود بالإنسان هنا هو الإنسان الكافر فقط إستنادا إلي قوله تعالي ﴿ **وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ** ﴾ أي أن المقصود هنا أن الكافرون هم أكثر شئ جدلا . ولكن فضيلة الإمام الشعراوي رحمه الله عليه، رأي أن الجدال يكون بالحق كما يكون بالباطل إستنادا إلي قوله تعالي في سورة النحل : ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ أو كما قال في سورة العنكبوت : ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾.

لهذا رأي الإمام الشعراوي أن الجدال يكون بالحق وبالباطل وأن الإنسان كان أكثر شئ جدلا لأنه هكذا خلق وهكذا جُبِل . . . .

وكان الإنسان أكثر شئ جدلا . . . . .

هكذا نحن جميعا . . . . لانري إلا ما نري . . . . ونجادل لنثبت أننا ذوي رؤية وبصيرة وأننا أُعطينا من العقل والمنطق ما لم يعطي لأحد غيرنا . . . . . والمصيبة أننا جميعا نصدق في أنفسنا فقط وفي عقولنا ، ولا نعطي نفس الحق للآخرين . . . .سبحان الله . . . . ! ! !

لم يجادل إبليس بل إستكبر وعصي . فما كان إمتناعه عن السجود للمجادلة ، بل عصيان وإمتناع أن يكون من الساجدين ، والدليل أنه عندما سأله رب العزه عن ما منعه من السجود قال قولته فحق عليه القول مباشرة . خلقتني من نار وخلقته من طين . . . . . فأخرج منها . . . إنك من الغاوين . . . . مباشرة . . . لا جدال . . . ولا مجادلة . . . . فقد كان القرار . . بناء علي تكبره .

أما الملائكة فلم يكونوا مجادلين . . . بل تسائلوا . . ومن ثم . . . .أمتثلوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء . . . . . إنه سؤال وقع قبل أن ينفخ الله من روحه في أدم . لقد كان تساؤل قبل زمن وقوع الحدث ، ولكن بمجرد أن نفخ العزيز القدير من روحه ليعيدوا سؤالهم بل أنهم لم يعيدوا التفكير مرة أخري وأمتثلوا وقعوا له ساجدين .

أما أدم وبنيه . . . . . فقد كان التساؤل يملأه ويعذبه ويكدر عليه حياته وفكره حتي بينه وبين نفسه وكأنه قد أغفل أن العزيز القدير يعلم مايخفيه وما يحدثه به عقله . لهذا ظل أدم يتسائل . . . لماذا . . . . لابد من وجود حكمه في منعنا من هذه الشجرة ، لابد أن ثمرة الشجرة هي بمقام الجنه ونعيمها . مالحكمة من أن نعطي الجنة كلها إلا هذه الشجرة . . . . لماذا . . . . لماذا . . . . . لماذا . . . . ؟ ؟ ؟ ؟

وعندما بدأ أدم في المجادلة بينه وبين نفسه محاولا الوصول إلي الحكمة من أمر الله الذي يعلم جيدا أنه نافذ حتي ولو لم يقتنع به . . . . تصبح المجادلة . . . خطيئة .

وكما الأب كان الأبناء . فعندما يبدأ أبن أدم في المجادلة والتساؤل بينه وبين نفسه، فإنه يقع فريسة سهلة لينة في يد الشيطان الملعون الذي يعمل علي تعظيم أمر المجادلة داخل أنفسنا وهو يقنعنا أن المجادلة نفسها . . . حق ، فنقع في المحظور ونأتي بالمعصية عن قناعة، ولولا أن يتقبلنا الله عنده من التائبين ، ولولا أن يلهمنا الله ويرمي في قلوبنا نعمة الإستغفار . . . . لأصبحنا علي أمر مجادلتنا . . . . . من النادمين

إنني أعتقد أن المعني المقصود من أن الإنسان أكثر شئ جدلا ليس في أمر مجادلته لمن حوله في ما يعلم وما لا يعلم حتي وإن كان هذا هو حقيقة الأمر ، ولكنني أعتقد أن المعني المقصود هنا هو في كون بني أدم بطبيعته يجادل في كل شيء ، في النعم التي يهبها له العزيز القدير بدون حساب فيترك ما في يده ويجادل حول ما في أيادي الناس .

في إبتلاء الرحمن الرحيم له فيجزع وهو يجادل أمر ربه متسائلا لماذا أنا دونا عن غيري . ؟ ؟ أنه أبن أدم الذي أعتاد أن يجادل في أمر ربه حتي بينه وبين نفسه وهو يسأل أو يتسائل . . . . لماذا يا ربي . . . لماذا أنا . . . . . أو لماذا أعطيت فلان هذا . . . . أو لماذا منعتني عن هذا لماذا أوقعتني يارب في هذا البلاء . . . . . ؟ ؟ ؟

فأبن أدم إن لم يقدر علي أن يجادل من حوله . . . . . فإنه يظل يجادل بينه وبين نفسه في أمر الله وفي قضائه وفي قدره سواء فيما أتاه الله أو لم يأته وأتي به أحدا أخر من خلقه .

اللهم قنا شر المجادلة ولو بيننا وبين أنفسنا . . . . وأكتبنا عندك من الراضين بقضائك . . الحامدين الشاكرين علي نعمائك الراغبين في غفرانك . . . . . .

اللهم أمين . . . . اللهم أمين . . . . . اللهم أمين .

# ٤- ولئن رددت إلى ربي...!!

لا زلت في سورة الكهف . . . . . ويبدو أن أسرارها كثيرة . . . . . كثيرة حيث يقول المولى تعالى:

﴿ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾

كل كتب التفسير قد جعلت من هذه القصة هي قصة الأيمان والكفر . . . أو الحوار بين مؤمن وكافر . فكما يخبر إبن كثير في تفسير هذه الأية : (( يقول تعالى مخبرا عما أجابه صاحبه المؤمن ، واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار)) وكذلك ذهب كل من الطبري والقرطبي حين قالا ((( وهو توبيخ ووصية من المؤمن للكافر))) .

حتي الشيخ الشعراوي رحمه الله . . . ذهب إلي كفر الرجل الذي إغتر بنعم الله عليه عندما قال (((( والهمزة في ﴿ أَكَفَرْتَ ﴾ ليست للاستفهام، بل هي استنكار لما يقوله صاحبه، وما بدر منه من كُفْر ونسيان لحقيقة أمره وبداية خَلْقه . ))))))) .

ولكنني لم أستطيع أن أفهم كيف أصبح هذا الرجل كافرا وهو يقر بالربوبية وأنه إن رد إلي ربه سيجد عنده خير منها . . . . . ؟؟؟؟؟؟؟ ولكنني بعد أن قرأت في التفاسير الثمانية . . . . . وجدت المعني الذي قد نغفله جميعا . . . . . .

فالكفر ليس فقط في إنكار الخالق ، فهذا هو كفر الكافر، ولكن هناك أيضا كفر المؤمن الموحد الذي يذهب به إلي إنكار نعمة الخالق عليه . كفر المؤمن هو في أن نتعامل مع أنعم الخالق العظيم علي أنها مضمونة لنا وأننا قد إستحققناها علي علم عندنا أو كأن لنا عهد عند الله فلن يخلف الله عهده لنا . . . . هكذا فعل بنو إسرائيل عندما قنعوا أنفسهم وأولادهم وأحفادهم أنهم شعب الله المختار وأن الله يحبهم و قد فضلهم علي العالمين وأعطاهم الأمان ليفعلوا مايشاؤون . فكفر الكافر يقع في إنكار وجود ووحدانية الخالق . . . . . .أما كفر المؤمن فيقع في إنكار فضل الله ونعمته عليه وهو يرجع مابه من نعمة لفضله ومكانته عند الرحمن . ويزيد بأن يبدأ في إنكار حق الخالق القدير في أن يعطي من يشاء وقتما يشاء وكيفما يشاء . . . . . بغير حساب

من ظن أنه قد أمن بعمله أن يبتلي ، وأنه في مأمن من أمر الله وقضائه الذي يصيب به من يشاء . . . . . فقد كفر . من ظن أن عمله قد أنجاه من قضاء الله . . . . . فقد كفر .

من ظن أن عطاء الله له هو لأفضليته أو لأيمانه أو لحسبه أو لعمله من صلاة وصيام أو لأنه من شعب الله المختار . . . . فقد كفر ، لأن الله يعطي من يشاء بغير حساب . . . . . وهو من يعطي الملك من يشاء كما وأنه هو من ينزع الملك ممن يشاء . . . . . .

عندما قرأت هذه الآيات . . . . تذكرت قول العزيز القدير في سورة العنكبوت . . .

﴿ الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾

إن دليل الأيمان هو في أن يفتنا الله في دنيانا . . . في رزقنا . . . في صحتنا . . . في أولادنا . . . . في أهلينا . . . . بل وفي ديننا . . . . . فمن ظن أن عطايا الله ونعمته عليه مضمونه بأيمانه . . وأنه إن هو رد إلي الله سبحانه سيجد خيرا مما أعطي في الدنيا . . . . . فهذا هو كفر المؤمن . . . . الكفر بنعمة الله عليه . . . . . بل الكفر بحق الله علينا في أن يبتلينا . . . . . وأن يكون قبولنا لهذا الإبتلاء . . . . هو دليل أيماننا .

لقد كان هذا هو دليل كفر صاحب الجنتين عندما قنع أن عطاء الله له ، هو دليل قوة أيمانه وتفضيل الله له فوقع في كفر المؤمن حتي وإن كان من الموحدين بالله .

لهذا وجدناه وهو يقول ولإن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا . لم يكن هذا الرجل كافرا ، بل كان مؤمنا ولكنه ظن أن دليل قوة أيمانه هو في أن الله فضله في العطاء ، فوقع في دائرة الكفر بنعمة الله . . . . . وهذا هو كفر المؤمن . . بعينه .

اللهم إني أشهدك أني قد رضيت بقضائك كيفما كان وقعه علي نفسي . . . .

اللهم إني أشهدك أني أبوء إليك بأنعمك التي تفضلت بها علي وعلي أهلي وأولادي . . . . .
اللهم إني أشهدك أني ضعيف لا أملك من أمر نفسي إلا ما أنعمت أنت به علي . . . . . .

لا قوة إلا بالله . . . . .

## ٥- ويعفو عن كثير .....!!

أية جميلة إستوقفتني في سورة الشوري يقول عنها الإمام علي - كرم الله وجهه - أنها من أجمل أيات القرآن ولكن الناس عنها غافلين حيث يقول عز من قال : ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾

إن النظرة السطحية للأية تخبرنا أن كل مايصيبنا من فتن أو إبتلاءات أو مصائب فهي نتاج أعمالنا وأن في بعدنا عن الله وإنتهاكنا لحرماته ما يجعل الله يصيبنا ويسلط علينا الدنيا عقابا لنا عن بعدنا عن منهجه . . . . إنها النظرة السطحية التي تجعلنا نتصور أن الرحمن الرحيم يعاملنا بنديه وأنه ينتظر أن نخطئ حتي يصب علينا عذابه .

إنها هذه النظرة التي تجعلنا نتخيل أن من عصي الله بعد أيمان سيصيبه الله بمرض السرطان مثلا ، عقابا له علي معصيته ناسين أو متناسيين أن العقاب يكون في الأخرة وأن الرحمن الرحيم ينتظر منا أن نتوب ولو قبل موتنا بسويعات قليلة ، بل وأنه يفرح بتوبتنا وإقرارنا بمعصيتنا التي لن تضره شيئا كما أن أيماننا لن يزيده شيئا وهو الغني عن عباده .

هذه هي النظره السطحية للأية . . . .

ولكن أنظروا إلي المعني الجميل العظيم الذي تحويه هذه الأيه عن رحمة الخالق بنا وعطفه وتفضله علينا ونحن العاصيين المخطئيين المذنبين .

إننا نعلم تمام العلم أن كل إبن أدم خطائ . . . . كلنا نخطئ . . . . . وكلنا يعلم ذلك . وقد جعل العزيز القدير رحمته سبيلا لنا حتي لا نهلك بأخطائنا التي هي طبيعتنا التي جبلنا عليها . . . .

سبحانك يا عزيز ياقدير يارحمن يا رحيم . . . . .

لقد جعل الرحمن الرحيم ما يصيبنا في الدنيا من إبتلاءات وإختبارات ومصائب تكفيرا لنا عن ذنوبنا الكثيرة التي نأتيها يوما بعد يوم ولكن يبقي الجمال الآلهي والتفرد في العطف والرحمة . . . . . ﴿ وَيَعْفُوعَنْ كَثِيرٍ ﴾

هل تعلمون لماذا قال الإمام علي – كرم الله وجهه – أنها من أجمل آيات القرأن . . . . .

لإن الرحمن الرحيم قد جعل من إبتلائه لنا – وهو حق – تكفيرا فقط عن بعض ذنوبنا لأنه قد عفا عن الكثير من ذنوبنا . . . . . والكريم إذا عفا . . . لا يرد عفوه أبدا . . . . هل ترون ما أراه . . . . . الله . . . . الله

إن عفو الرحمن الرحيم يطالنا ونحن علي قيد الحياة . . . . ونحن لا نزلنا نحيا . . . هو يعفو عن الكثير وقت يبتلينا فيكون أبتلائنا مصحوبا بالعفو عن الكثير من خطايانا حتي إذا لقيناه ، لقيناه وقد عفا عن الكثير من ذنوبنا . . . . . سبحان الله .

إن عفوه وهو الكريم يطالنا ونحن لا نزلنا نحيا ونخطئ . . . . . ما أعظمك يا الله . . . . ما أجملك يا الله . . . .

يقول الإمام الشيخ الشعراوي في تفسير هذه الآية:

إن كلمة مصيبة من الفعل أصاب وهو الفعل الذي يطلق علي السهم إذا سدد فأصاب الهدف أي أن المصيبة هي سهام القدر قد سددها لنا من بيده الأمر فأصابتنا لأمر كان مقضيا ، فكل ما يصيبنا هو أمر مكتوب منذ الأزل ولكنه يُسدَد إلينا في وقته . أما الصبر فهو من الأصطبار وهو الشئ يسدد أليه وعليه السهام لتصيبه، فيكون الأنسان صابرا كلما ثبت في مكانه وهو يتلقي سهام القدر تصيبه كيفما تصيبه ولكنها أبدا لا تنزع عنه ثباته وصبره علي مواجهتها .

لهذا كانت رحمة الخالق العظيم أن يجعل هذه المصائب التي تصيبنا بأمر مقضيا هي تخفيف من ذنوبنا التي نرتكبها كل يوم وذلك عندما نصبر فقط علي ماتتلقاه من سهام القدر وهي لا تستطيع أن تصيب من أيماننا شيء .

بل ويزيد أن تطمئن قلوبنا أن العَفُوّ الكريم قد عفا ولا زال يعفو عن الكثير لأنه يعلم أنه لو تركنا لأفعالنا ما دخل أحدنا الجنة أبدا . . . . . بعمله .

اللهـم لطفك لا عدلك . . . .

اللهـم عاملنا بما أنت أهل له . . . . . ولا تعاملنا بما نحن أهل له . . . . .

اللهـم إنك أنت العَفُوّ الكـريـم . . . . . فأعفو عنا وأرحمنا . . . . . ولا تؤاخذنا بما فعلنا . . . . وأجعل لنا من وعدك لنا بقبول دعائنا إن نحن دعوناك ، قسطا ترضي به عنا وتدخلنا به مع من أدخلتهـم الجنة بغير حساب . . . .

اللهـم أمين . . . اللهـم أمين . . . . اللهـم أمين

## ٦- ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ....!!

كنت أقرأ في سورة البقرة . . . وما أدراكم ما سورة البقرة . . . . إنها السورة التي تحوي أعظم آية في القرآن (آية الكرسي) وهي السورة التي تحوي إحدي العواصم من فتنة الدجال (آخر ثلاث آيات) . وإذ بي أتوقف عند آية عظيمة في المعني . . . . عظيمة في الأجر حيث يقول المولي تعالي:

**﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾**

شئ من الخوف والجوع . . . فقط شئ . . . . . فقط جزء . . . ونقص من الأموال والأنفس والثمرات . . إنه نقص منهم وليس نقص في كل الأموال والأنفس . . . فقط جزء .

أي أن الإبتلاء يأتي في جزء من ما نملك . . . . . . فقط جزء . . . . . . كما قال معظم المفسرين من بن كثير والقرطبي والطبري وبن باز والجلالين وسيد قطب والشيخ الشعراوي، كل كبار المفسرين قد أجمعوا علي أن الإبتلاء يكون في بعض مما نملك لإن الغرض ليس في إلحاق الأذي . . . . ولكن الغرض هو في الإمتحان ، الغرض هو في إعطاء الفرصة لبني آدم ليثبتوا إيمانهم ، الغرض من الإبتلاء . . . . هو الرحمة . . . سبحان الله .

نعم الغرض من الإبتلاء هو الرحمة لإن كل ما يصيبنا يخفف به عنا من خطايانا التي هي كثيرة . . . . لهذا كان الإبتلاء هو في أن نصاب في بعض من مقدراتنا حتي نفزع إلي الله ونقر بالربوبية . . . .إنها قمة الرحمة التي يتغمدنا بها الرحمن الرحيم عندما يعطينا الفرصة لكي نرجع إليه فلاتغرنا الحياة الدنيا ونصبح علي ذلك من النادمين يوم لاينفع الندم .

أنظروا إلي رحمة الرحمن الرحيم وقد جعل إبتلائنا في البعض فقط لأنه يعلم أنه إذا كان المصاب في كل مانملك ، لم يكن ذلك أبدا إبتلاء ولأصبح ذلك عقاب مثلما حدث مع قوم عاد وثمود وقوم لوط وشعيب حيث كان المصاب في كل الأنفس والأموال والزروع ، ليكون المصير في هلاك القوم بعد أن حق عليهم القول بأنهم لن ينالوا من رحمة الله شيء بعد أن أصروا و أستكبروا أستكبارا . . . فكتب عليهم الهلاك عقابا . ولكن عندما يمد لنا الرحمن الرحيم في الأسباب وهو يعطينا الفرصة لكي نتذكره ونعود إليه عندما يمسنا الأبتلاء في بعض مما نملكه ، فهذه هي قمة الرحمة من رب رحيم إذ جعل رفع العقاب بيدنا إن نحن صبرنا وعدنا إليه قبل أن نلقاه .

ولكن الأمر الذي وقفت عنده في ما بين الكلمات و لم أجد أشاره له في كل التفاسير . . . . ولكنه إجتهادي والله أعلم :

نقص من الأموال والأنفس والثمرات . . . . . ؟؟؟؟؟

أوليست الثمرات من الأموال . . . . . ؟؟؟

أو ليست الثمرات هي جزء من ثروة الإنسان ونقديته يبيعها أو يقايض عليها فتكون كما المال . . . ؟ ؟ ؟ فلماذا ذكر العزيز القدير الأموال في العموم . . . . ثم خص الثمرات وحدها . . . . . ؟ ؟ ؟

الأموال في العموم هي كل ما تحصل عليه مقابل مجهودنا وعملنا وجدنا وإشتغالنا . . . . الأموال هي مقابل ما نقوم به من عمل يأتينا في صورة أجر أو مكافأة أو عطية أو متحصلات ولو مؤجله في صورة نقد أو ذهب أو مزروعات أو أنعام أو عقارات . . . . أو ما إلي غير ذلك من مقتضيات الحياة

أما الثمرات فهي . . . . . النتائج . . . . . هي نتيجة العمل . . . . . نتيجة السعي . . . . . الثمرات هنا ليست الزرع ولكنها نتيجة السعي . عندما سأل سيدنا أبراهيم ربه أن يرزق أهل مكة (وادي غير ذي زرع) ، فإنه خص دعائه بأن يرزق أهله من الثمرات . فهل تمت زراعة مكة . . . . هل أثمرت أراضيه . . . . . كلنا نعلم الإجابه بطبيعة الحال لأن مكة ليست إلا صحراء من كل جهة لا ولم ولن تزرع . . . . إلا ما شاء الله . فهل لم يقبل العزيز القدير دعوة خليله إبراهيم عليه السلام . . . ؟ ؟

لم تكن مقصد دعوة الخليل أن يتم زراعة الوادي . . . بل أن يرزق أهله من ثمرات عمل الأخرين وهو ما كان . . . ! !

كلنا يعمل ويشقي ويجد ويجتهد لكي يجمع المال ويذهب في حج أو عمرة ليكون ما تحصل عليه من أموال هو رزق أهل مكة الذين تصلهم ثمرة أعمالنا وهم جلوس في أماكنهم تصديقا لقول الرحمن إذ قال: ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. وكذلك هو المقصد في هذه الأية العظيمة (((نقص من الثمرات ))) عندما نعمل ونجد ونتعب ولا تتحصل علي مانبغي من نتيجة . . . . لتكون النتيجة أقل من ما نتوقع . . . . . أو لتكون الثمرة أقل من ما تم التخطيط له وهذا هو عين الإبتلاء المقصود . . . . الله . . . الله . . . . . الله . . . ! !

قد نصاب بضياع بعض الأموال أو نفقد بعض الأناس العزيزين علينا فيكون هذا إبتلاء حسي نراه ويراه كل من حولنا وهذا هو أخف البلاء عندما يسخر الله لنا من يساندنا ويدعمنا حتي يرفع عنا هذا القضاء .

ولكن أن نصاب في أحلامنا ، في طموحاتنا ، في أمالنا فهذا هو المصاب الأكبر عندما نعمل ونجد وتتعب ونشقي ثم لا تتحصل علي ما كنا نتوقعه ونجد أنفسنا ونحن نعيش مصابنا هذا وحدنا ونتجرع ألامه بيننا وبين أنفسنا التي عاشت هذه الأحلام وبنت عليها الأمال ، فإذا بها تتحطم علي صخرة القدر ليكون هذا هو الإبتلاء المعنوي . . . . وهذا هو المصاب الأكبر لأنني أعتقد أن هذا هو الوعد الذي بيننا وبين خالقنا الذي يثبت معني التوكل علي الله وحده .

ولكن ماهو الحل للصمود أمام هذا الأبتلاء . . . . ! ! ! !

إنا لله وإنا إليه راجعون . . . . . هذا هو الحل . . . . .

أرجعوا الأمر لصاحبه . . . . . لا تحملوا أنفسكم فوق ما تطيقونه . . . . فكلنا مصابون . . . . والإبتلاء حق . . . . بل أن الإبتلاء يصبح رحمه . . . إن نحن فقط قبلناه ورضينا وحمدنا وأخلصنا النية حقا في قبول أمر الله مهما عظم .

إن الأبتلاء هو وعد من الله سبحانه وتعالي لكل البشر ولكن فقط المؤمنين هم من يصبرون ، فقط المهتدون هم من يرجعون الأمر لصاحبه فيقبلونه كما هو دون مجادلة فيكون العطاء من الله مضاعفا .

أولا تحبون أن يصلي عليكم الخالق العظيم الجليل ويصيبكم برحمة من عنده . . . . فقط أرجعوا الأمر لصاحبه فتستحقون وعد العزيز القدير . . . ﴿ **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** ﴾ . . . . . .

اللهم إني أشكو إليك قلة حيلتي وهواني علي الناس . . . إن لم يكن بك غضب علي . . . فلا أبالي . . . . . ولم أبالي . . . . . ولن أبالي . . . . . .

اللهم إكتبني عندك من الصابرين المحتسبين . . . . اللهم أمين . . . . اللهم أمين

## ٧- ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ....!!

يقول العزيز القدير في سورة الأنعام :

﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

أجمع المفسرين علي أن سبب نزول هذه الأية كان لإعتياد الصحابة سب آلهة الكفار وهو ما جعل أئمة الكفر يجتمعون عند أبو طالب عم الرسول " صلي الله عليه وسلم" يطلبون منه أن يكف أبن أخيه عن سب آلهتهم وإلا سبوه هو وألهه . . . . فنزلت الآية .

والقارئ لهذه الأية بشئ من سطحية التبصر وعدم التعمق في مضمون الآية ، قد يفهم أن المقصود هو النهي عن سب آلهة الكفر حتي لا يكون ذلك سببا في أن يرد الكفار الأمر بسبهم للقدير العزيز سبحانه وتعالي عن أي إنتقاص أو مسبه .

ولكنني أري الأمر أكبر وأعم وأشمل . . . . . أنني أري الأمر منهج وضعنا عليه العزيز الحكيم ليوم تقوم الساعة . . . . . أنني أري الأمر نهي صريح ومبرر بما لا يحمل أي لبس أو إلتباس .

إن ظاهر الآية هو النهي عن سب آلهة الكفر . . . . . والسبب . . . . حتي لا يرد الأمر علينا بسب العزيز القدير سبحانه وتعالي ، فنصبح نحن من تسببنا في هذا السب وتتحمل وزره بالتبعيه وهو الوزر الذي لا نقدر أبدا عليه .

ولكن عميق مدلول الآية أشمل:

إن عميق مدلول الآية يقودنا إلي النهي عن إنتقاص عقيدة الأخر حتي ونحن علي يقين من خطأ هذه العقيدة ، بل أنه يقودنا إلي النهي عن إنتقاص عقيدة الآخر حتي وإن كان كفرنا بها وجهرنا بهذا الكفر ورفضنا له هو دليل أيماننا . . . . . بل دليل صحة أيماننا .

لقد نهانا الله سبحانه وتعالي عن أن نسب آلهة الكفر بينما نحن مطالبون بأن نعلن كفرنا بها ونعلن بطلان هذه العقيدة ونعلن تبرأنا منها حتي . . . . . نعلن توحيدنا وإسلامنا للخالق العظيم

لقد نهانا العزيز الحكيم عن أن نسب هذه الآلهة . . . . . ثم أوضح لنا السبب . . . . . حتي لا يسبوا الله . . . . . .

أتعلمون لماذا . . . . . ؟ ؟ ؟

إن تقييم صلاح الوسيلة لا يكون بصلاح النية فقط . . . بل بحجم الضرر الذي قد توصلنا إليه هذه الوسيلة

فإن كانت النية عند سب آلهة الكفر هي في إعلان التوحيد والإسلام والوحدانية لله الواحد القهار ، ولكن هذه النية – وإن صلحت – ستصل بنا إلي أن يقوم هؤلاء الكفار أعداء الأمة بسب الله – سبحانه وتعالي عن أي منقصه – إذا فالوسيلة لا تصلح حتي وإن صلحت النية . . لإنها تصل بنا إلي ما لا يقبله الله ولا رسوله ولا المؤمنون . . . الله . . . الله . . . الله .

لقد وضع الله سبحانه وتعالي منهجا للمؤمنين واضح لا لبس فيه . . . . . أن نبصر نتائج أعمالنا . . . . . أن نبصر مدلول تصرفاتنا . . . . . أن تكون أخلاقنا هي أخلاق المسلمين الذين لا يسبون ولا يلعنون حتي مايكفرون به . . . . لأن من يفعل ذلك هم الكفار الذي نعوذ بالله العظيم أن نكون منهم أو مثلهم . . . .

إن الأخلاق الحميدة ليست فيما نتصف به . . بل هي فيما يجده الآخرون من نتائج تصرفاتنا .

أعلموا يا عباد الله أن هناك شعرة بسيطة جدا بين الحرية و بين التسلط بإسم الحرية . . . . . هذه الشعرة هي في إحترامنا للأخر وعقيدته وتصديقه فيما يعتنقه لإن الله قد وضعها صريحة لا تقبل الجدل عندما قال : ﴿ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ﴾ . . . . . فلستم أنتم من تقيمون الأخر . . . . . لإنه قد سبق القول لو كنتم تفقهون

اللهم إهدنا وثبتنا علي دينك وإجعلنا ممن يفعلون ما يقولون ولا تجعلنا ممن كبر مقتك عليهم ياعزيز يا قدير يا غفور يا رحيم . . . . اللهم أمين . . . . . اللهم أمين . . . . اللهم أمين

## ٨- وزين لهم الشيطان أعمالهم ....!!

يقول المولي في سورة العنكبوت الأية ٣٨ . .

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ ، وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴾

عندما نقرأ في كتب التفاسير نجد معظمهم وقد قاموا بتفسير المعني اللغوي للكلمات والمقصد من الأية حيث أن أثار عادا وثمود لا زالت باقية إلي يومنا هذا عبرة لمن أعتبر . وأجمع معظم المفسرين أن زين لهم أعمالهم قد قصد بها سوء أعمالهم حيث أن الشيطان قد زين لهم سوء أعمالهم وجملها لها حتي صدقوا فيها فضلوا السبيل .

أما عن تفسير وكانوا مستبصرين ، فقد أجمع المفسرين علي أن المعني أنهم كانوا ذوي بصيرة بما يجعلهم يستطيعون التمييز بين الحق والباطل وأنهم قد عرفوا الحق لأنهم كانوا مستبصرين ولكنهم غووا فضلوا السبيل . إلا أن الشيخ الشعراوي قد رأي أن المقصد من أنهم كانوا مستبصرين هو في أنهم كانوا علي علم فلم يأخذهم الله علي حين غره لإنه هكذا هي سنة الله في خلقه أنه لم يكن معذبا إلا بعد أن يبعث رسول . فكونهم قد جائهم رسول يهديهم إلي الحق فقد أصبحوا من المستبصرين حتي يحق عليهم العذاب إن هم كفروا . . . . وهذا ما كان .

ولكنني قد سرحت في المقصد من زين لهم الشيطان أعمالهم ، لماذا إستخدم العزيز القدير لفظ زين في أكثر من موضع كلما تحدث عن إغواء الشيطان لبني أدم

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ الأنفال ٤٨

﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل ٢٤

﴿ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام ١٢٢

﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ الرعد ٣٣

الكثير من الآيات تتحدث عن أن أبليس عليه لعنة الله إذا أراد أن يضل قوما ، فإن الطريق الذي يسلكه يكون بأن يزين لهم أعمالهم فيضلهم عن سواء السبيل . كما يخبرنا العزيز القدير أنه قد زُيِّنَ لكل أمة عملها حتي يوم يلقونه فيخبرهم عن ما كانوا يعملون

﴿ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام ١٠٨

إذا هكذا هو الأمر دوما ،أن يزين لنا الشيطان أعمالنا فيضل بنا عن سواء السبيل . ولكن لماذا يزين . . لماذا إستعمل العزيز القدير هذا اللفظ دون غيره في أكثر من موضع ؟ ؟ ؟ ؟

إنني أعتقد أن السر يكمن في معني ومدلول الفعل . . .زين . . . ! !

فالزينة عادة ما تكون في ظاهر الشئ حيث نعمد دائما إلي تجميل ظاهر الشئ وتغيير معلمه حتي يبدو علي غير حقيقته فننشغل بظاهره عن حقيقة مضمونه التي طمستها زينته .

إن مدخل الشيطان إلي كل بني أدم يكون دوما من خلال تزيين أعمالهم ليقنعهم أن ظاهر مايفعلونه هو الحق وأن كل ما دون ذلك هو الضلال فتزداد قناعتهم بصحة أفعالهم بل ويبدأون في الإستدلال علي ذلك بما أتاهم الله من علم فيصبحون من المستبصرين .

نعم إن المستبصرين هم من يستطيعون الإستدلال علي حقيقة مايبصرونه فيستدلون ببصيرتهم علي باطن مايبصرونه . فالمبصر هو من يستطيع أن يري ماحوله من قرائن ودلائل وحقائق . أما المستبصر فهو من يستطيع الإستدلال بما أبصره لكي يصل إلي حقيقة الأمر .

ولكن المصيبة لاتكون في الإستبصار ، بل في أن الشيطان يزين لنا ظاهر أعمالنا فنبصر الباطل وقد ألبسناه ثوب الحق فلا نستطيع أن نستبصر حقيقته فلا يقع الحق في قلوبنا بعد أن زينه الشيطان وغير معالمه وألبسه رداء الباطل .

يقول العزيز القدير في سورة الحجرات الأية (٧) :

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

فهكذا يكون الخلاص ، هكذا هو الأمر . . . .

إن الله عندما يرضي عن إبن أدم فإنه يزين الأيمان في قلبه لإن الإيمان يكون بالقلب ، هكذا هو الأمر وهكذا نغفل دوما عن هذه الحقيقة لأن الأيمان يكون بما وقر في القلب وعندما يريد الله أن يهدينا فإنه يزين الأيمان . . . . في قلوبنا وشتان بين تزيين الأمر لعقولنا فنضل ، وبين أن يزين في قلوبنا . . . فنهتدي .

إن الشيطان يعمل علي عقولنا فيغيبها ويزين لنا أعمالنا حتي نعجب بما نفعله ونبدأ في الإقتناع أننا نحن المؤمنين الذين يدافعون عن الدين بل ونقنع أنفسنا بأن الله سيقف معنا ويرفع عنا إبتلاؤه لأننا قد قنعنا أنفسنا بأننا نحن المؤمنين الذين يعملون من أجل الدين وأن كل من إختلف معنا إنما هو في عداد من حق عليه العذاب وكأننا قد أخذنا عند الله عهدا فلن يخلف الله وعده .

لقد نسينا جميعا أن العزيز القدير قد جعلها قاعدة عامة علي جميع البشر أننا كلنا سنفتن وكلنا مبتلون سواء كنا مؤمنين أو غير ذلك .

بل أن العزيز القدير قد أخبرنا أن أيماننا لن يمنع إبتلائنا وأن دليل أيماننا هو في قبول الإبتلاء والصبر عليه وأن لا نمن علي الله أيماننا بل أن الله هو من يمن علينا أن هدانا للأيمان .

إن الشيطان لم يبذل مجهودا في تكفير عاد وثمود ومن تبعهم ممن حق عليهم العذاب ، بل أن كل مافعله هو أنه قد زين لهم أعمالهم وأقنعهم أنهم لولا أنهم أقواما مؤمنين ما أتاهم الله من أنعامه ، فماكان منهم إلا أن أستسلموا لما زينه لهم أبليس وقد أستبصروا بما بصروه من ضلال ألبسه الشيطان ثوب الحق فزينه لهم فبعدوا وضلوا ولم يدركوا أن هذه هي حيلته ومنهجه الذي يسير عليه منذ أصبح من المنظرين إلي يوم يبعثون .

إن هذا هو الإبتلاء الحق الذي نغفله جميعا عندما نقنع أننا من المستبصرين وأنه قد آتانا من العلم ما يجعلنا نحن المؤمنين فنعجب بأعمالنا ونقنع بما نقدمه لديننا وننسي أن الهدي . . . . هدي الله وأن كل ما نفعله ونقدمه اليوم لن ينفعنا عند المولي يوم موقف عظيم إن لم يصادق علي عملنا ما وقر في قلوبنا .

اللهم أرشدنا إلي سواء السبيل وأجعلنا ممن زينت لهم الأيمان في قلوبهم وجنبنا أن نعجب بأعمالنا وأن نقنع أن أعمالنا هي المنجي . اللهم لا تجعلنا من الأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . . . . . .

اللهم أمين . . . . . اللهم أمين . . . . . اللهم أمين .

## ٩- أفلا يعقلون ....!!

يقول المولي في سورة يس الأية ٦٨ ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾

توقفت كثيرا عند قوله تعالي أفلا يعقلون . . . ! !

لماذا يتنوع الخطاب الألهي من أيه لأيه ومن سورة لسورة . . لنجده في مرات عديدة لا يعقلون وفي مرات أخري قليلة يتفكرون وتارة أخري تكون يتدبرون . . . ؟ ؟

لماذا هذا التنوع في أستخدام مرادفات (إن كانت حقا هي مرادفات)، ولماذا يستخدم المولي الفعل يعقلون ثم يتغير الخطاب إلي يتفكرون أو إلي يتدبرون . . . . ؟ ؟ ؟

بحثت وحاولت أن أصل إلي تفسير أقنع به وأستريح إليه حتي أستطيع أن أفهم السر وراء تنوع الخطاب بالرغم من أن ظاهر المعني لا يختلف لإننا إذا عقلنا فهذا يعني أننا قد فكرنا كما أننا إن تدبرنا فهذا يعني أننا قد عقلنا . . . . ولكنني علي أشد القناعة أن القرأن لا يعتمد أبدا علي أستخدام المرادفات اللغوية ، لأن كل كلمة يتم أستخدامها وتوظيفها حسب المقصود منها في موقعها ، فإن أختلف موقع الكلمة في أية أخري ، أختلف المعني . هذه هي قناعتي التي لا ولن تتغير ، طالما صدقت وأمنت أن هذا القرآن هو من عند الحق العزيز الحكيم .

في تفسير بن كثير أوضح أن المعني المقصود من أفلا يعقلون هو أفلا يتفكرون في تدرج الخلق منذ نشأتهم حتي يصيروا شيوخا وفي القرطبي أرجع المعني إلي إدراكهم قدرة الخالق علي البعث وهو القادر علي الخلق والتدرج حتي الشيخوخه والشيخ الشعراوي جعلها من المسأله حتي يستحثهم علي التفكير والإقرار بعدم التعقل إن هم أنكروا البعث .

أيات كثيرة ومردت في القرأن كلها تتسائل . . . . أفلا تعقلون . . . .

- ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٦٤ البقرة
- ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ١٧٠ البقرة
- ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٧١ البقرة
- ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٥٨ المائدة
- ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٣ المائدة
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٢٢ الأنفال
- ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ ٤٢ يونس
- ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ١٠٠ يونس
- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٤ الرعد
- ﴿وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ١٢ النحل

- إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧ النحل﴾
- أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴿٤٦ الحج﴾
- أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴿٤٤ الفرقان﴾
- وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥ العنكبوت﴾
- وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿43 العنكبوت﴾
- قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣ العنكبوت﴾
- فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤ الروم﴾
- كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨ الروم﴾
- وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨ يس﴾
- قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣ الزمر﴾
- فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥ الجاثية﴾
- إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤ الحجرات﴾
- تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤ الحشر﴾
- أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤ البقرة﴾
- كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣ البقرة﴾

- أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦ البقرة﴾
- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢ يوسف﴾

ولكن في سورة أل عمران الآية ١٩١ ذكر الرحمن الأمر بصورة التفكر عندما أخبرنا عز من قال:

﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

كما وقد ذكر التفكر أيضا في سورة النحل ﴿ بالبينات والزبر وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ النحل ٤٤

وأيضا في سورة يونس عندما قال العزيز القدير ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يونس ٢٤

يتفكرون . . . . ! ! !

لماذا لم تكن يتعقلون أو يتدبرون كما ذكرها العزيز القدير في أيات كثيرة من سور القرأن كلها تدعو إلي التدبر

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢

﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ محمد ٢٤

﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ص ٢٩

﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ المؤمنون ٦٨

إذا لماذا تنوع الخطاب الألهي بهذا الشكل ، ولماذا تم إختيار هذه الكلمة دون غيرها في حين أن المعني اللفظي قد يتشابه علينا في العموم ؟ ؟

إنظروا إلي جمال القرأن وحكمته وتمام معانيه عندما خص العزيز القدير معجزته التي إختص بها نبيه ورسوله محمد صلي الله عليه وسلم ألا وهي القرأن . . . بالتدبر . . . ! !

نعم ، هكذا جعل الله سبحانه وتعالي التدبر فعلا خالصا يذكر فقط عند ذكر القرأن وأياته وأحكامه ليعلم ويتقن كل من يقرأ القرأن ويتدبر أياته أن به خصوصية تحتاج منا أن نقف عند كلماته بل وحروفه ونفكر وتتدبر معانيه ونحن نرجع الأمر إلي الفطرة السوية ، فيعلم من يتدبر حقا . . . . أن هذا القرأن هو من عند الخالق العزيز .

عندما نبحث في اللغة عن معني التدبر نجد أن تدبر الشئ أي إستغراق الذهن في التفكير في شئ ما إلي حد إغفال ما دونه من أشياء أخري ويقولون أيضا أن التدبر هو في تصرف القلب

بالنظر إلي الدلائل وإغفال مادونه من ظواهر الأمور . إذا فتدبر الأمر هو في عمق التفكر فيه علي مهل والنظر في عاقبته بنفسه ولنفسه .

هكذا هو معني التدبر في اللغة . لهذا خص العزيز القدير القرأن بالفعل يتدبرون لإن القرأن لا يصل إلي معانيه ومعجزاته إلا من أخلص قلبه وأفرغ وقته حتي يري من القرأن أياته فيعلم أنه من عند الله بمجرد أن يستسلم لفطرته التي جبل عليها وأعمل عقله وأخلص قلبه وإلا كان علي القلوب أقفالها التي تمنعهم من التدبر في هذه المعجزة الربانية .

أما الفعل يتفكرون في اللغة فتعني إعمال العقل في موضوع ما حتي يصل إلي نتيجة أو حل ما ، كما يقولون أن التفكر في الأمر هو التأمل والإعتبار والإتعاظ بحكمته . إذا فإن يتفكرون المقصود بها ليس فقط في إعمال العقل ، بل في التمعن حتي الخروج بنتيجة من هذا الإعمال لهذا كانت الأيات التي ذكر فيها التفكر كلها تأتي بنتيجة حتمية بعد التفكر ، فإن ذكروا الله وتفكروا في خلق السموات والأرض فلابد أن يصلوا إلي نتيجة منطقية . . . . . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك .

وكذلك هو الأمر عندما يتفكر الناس فيما أنزل من الذكر ليجدوا أنه تبيانا لما نزل من قبل علي موسي وعيسي عليهما السلام ، فبمجرد عقد المقارنة والتفكر في ما بينه القرأن من أحكام وتفصيل ما سبق من كتب سماوية ، فإنهم لابد وأن يصلوا إلي النتيجة المنطقية التي يقرها العقل . . . بعد إعماله .

يقول الشيخ الشعراوي رحمه الله :

((ولا بُدَّ أن نُفرّق بين العقل والفكر . فالعقل هو الأداة التي تستقبل المحسّات وتُميّزها ، وتخرج منها القضايا العامة التي ستكون هي المباديء التي يعيش الإنسان عليها ، والتي ستكون عبارة عن معلومات مُخْتزنة ، أما الفكر فهو أن تفكر في هذه الأشياء لكي تستنبط منها الحكم)) .

أما عندما يخبرنا العزيز القدير أفلاتعقلون ، فهو يتحدث عن قضايا بديهية ، عن حقائق نراها ونعيش بها نستطيع إثباتها بمجرد إعمال العقل وحتي قبل أن نسترسل في التفكير ونحلل هذه الشواهد لنصل إلي النتيجة المنطقية التي تساعدنا علي الإتعاظ والإعتبار بحكمة الخلق .

هكذا هو الأمر في تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، وهكذا هو الأمر في النجوم المسخرات بأمره أو فيمن يعمر في الأرض حتي ينكسه الله ، بل هكذا هو الأمر فيمن يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم .

نعم هكذا هو الأمر عندما لايحتاج إلي التأمل والإتعاظ والإعتبار بل يحتاج فقط إلي إعمال العقل فيما نبصر ونسمع لنصل إلي حقيقة الخلق البديهية .

وحقيقة الأمر أنه ليس كل من يعقل يتفكر ، فكلنا إن رأينا الشمس عقلنا أن هناك نورا ولكن من منا جلس ليتفكر في كيفية وصول هذا النور لنا وكيف تضئ الشمس

نصف الأرض بينما تغيب عن النصف الأخر . . . هذا هو التفكر الذي لابد أن يصل بنا إلي نتيجة لا يصلها إلا من أتاهم الله الحكمة كما أخبرنا في كتابه الحكيم في سورة البقرة الأية ٢٦٩ :

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

أما القرآن ، فإنه أية بذاته لاتأتيها إلا بأختيارنا وبقرارنا إن نحن أردنا . لهذا كان التفرد بفعل يتدبر لأيات القرآن لتثبت خصوصية القرآن ، كما تثبت في نفس الوقت خصوصية من يتدبرون أياته . . . . . سبحان الله .

اللهم أجعلنا ممن يتدبرون القرآن ويتفكرون في خلقك ويعقلون أياتك ولاتجعل علي قلوبنا أقفالا تنسينا ذكر أياتك والتفكر فيها وتدبر معانيها . . . .

اللهم أمين . . . . اللهم أمين . . . . . اللهم أمين .

## ٢٠ – ويتفكرون في خلق السموات والأرض ...!!

لازلت أعيش مع أفلا يعقلون . . . . . يتفكرون . . . . . . يتدبرون . . . ! !

لماذا إستعمل العزيز القدير الفعل عقل في يعقلون بينما إستعمل الفعل تفكر وتدبر في يتفكرون ويتدبرون . . ! !

لماذا لم يقول يتعقلون كما قال يتفكرون ويتدبرون ، أو بالعكس لماذا لم يقول يفكرون ويدبرون مثلما قال يعقلون . هل ترون هذا الجمال والقوة الربانية في إختيار الألفاظ المحددة ليعطي كل منها المعني المطلوب فقط .

عندما إستخدم العزيز القدير الفعل يعقلون أو تعقلون، فقد كان الخطاب دائما منصبا علي ظاهر الأيات التي يبصرها كل عاقل دون الحاجة إلي مقارنتها أو الدخول إلي تفاصيلها لمعرفة حقيقتها . لقد كان إستعمال الفعل يعقلون مربوطا دوما بالسمع والإبصار والحواس الإنسانية التي تثبت الوحدانية ووجود الخالق بمجرد رؤيتها . لهذا كان الخطاب دوما أفلا يعقلون . . وهو مايعني أن إستعمال ظاهر العقل فقط في إبصار دلائل الخلق وبراهين القدرة ، لابد أن تجعل من لديه عقل ليبصر ويسمع . . يفهم . . . ومن ثم يعلم أن هناك خالق دون الحاجة إلي عقد أي مقارنات أو الإستناد إلي أي مرجعيات .

بمجرد أن يحتكم العقل إلي شواهد البصر وحواصل السمع ، و حتي بدون الحاجة إلي إستدعاء ما هو كامن في العقل الباطن من مرجعيات فكرية أو عقائدية أو ما وقر في القلب من دلائل الأيمان ، فإنه لابد أن يعقل هذه الأيات المبصرة ، لهذا كان إستخدام صيغة الفعل وليس التفعيل .

فنحن إذا رأينا نور الصباح فقد علمت عقولنا أن الشمس قد سطعت دون الحاجة إلي التدبر أو التفكير في الأمر ، فهذه هي المسلمات البديهية التي يراها صاحب أي عقل .

ولكن عندما نبدأ في تحليل هذا السطوع الدوري كل يوم في نفس الميعاد دون أن يحدث خطأ واحد ، عندما نبدأ في إستدعاء أحداث حياتنا لنتذكر إن كنا قد رأينا يوما واحدا لم تسطع فيه الشمس أو تأخرت عن وقتها أو أنها سطعت من غير مكانها ، فهذا هو التفكر، هذا هو تفعيل العقل ، هذا هو مساحة التداخل بين ماعقلناه ورأيناه وسمعناه وفهمناه بظاهر العقل من الأيات وبين ما أطلقنا له مخزون أفكارنا وعقيدتنا التي تكونت طوال سنين عمرنا وتم إختزانها في العقل الباطن لكي يتم الإستدلال بها علي مانراه فنبدأ في البحث و في التفكر ومن ثم في الإستدلال بما عقلناه من أيات ظاهره وذلك عن طريق إعمال العقل والتفكر في مدلول هذه الأيات حتي نصل إلي المفهوم الأعم والأشمل والأوسع .

إن أيات الخلق ظاهره وواضحة لايختلف عليها أو بها عاقل ، فكل من ينظر إلي نفسه أو إلي خلق السموات والأرض أو الشمس والقمر والنجوم والأنعام ، فلابد أن يعلم أن هناك خالقا

مهما كان غيه وظلمه لنفسه . . . أولم يقر الكفار بوجود الله ولم ينكروا وجوده أبدا . . ولكنهم أشركوا به وجعلوا معه شركاء يتقربون بهم لله زلفي .

إذا فالعقل يذهب بنا إلي ثبوت وجود الخالق دون الحاجة إلي التفكير . . . . دون الحاجة إلي الدخول إلي التفاصيل

أما التفكر والتدبر فيذهب بنا إلي ما هو أبعد من ذلك . . . . . التفكر والتدبر هو قرار نأخذه بأنفسنا بأن نبدأ في التفكير لإن التفكر غير الفكر .

فالفكر هو حاسة مثلها مثل السمع والبصر نشعر بها عندما تمر بنا أحداث حياتنا مجمعة أو تأتينا فكرة جديدة أو يكون علينا إلتزام ما وتبدأ الأفكار في السيطرة علي عقولنا فلانستطيع التركيز في سواها .

الفكر هو مرور الأفكار بعقولنا وسيطرتها علي مراكز الحواس بحيث تجعلنا نعيش مرغمين تحت وطأة هذا الفكر . أما التفكر ، فهذا هو مانفعله لكي نستطيع أن نسيطر بأختيارنا علي حاسة الفكر لدينا عن طريق تحليل الأحداث والإحتكام إلي الشواهد البديهية والفطرة السوية وهو مايعني تطويع الفكر ليكون إحدي الحواس مثل البصر والسمع بدلا من أن يكون هو الحاسة المسيطرة إن نحن لم نختار أن نتفكر فيما وصلنا .

فالفكر يصيبنا بالآرق وقد يصل بنا إلي اليأس والإحباط ، في حين أن التفكر يصل بنا دوما إلي نتائج أيجابية عندما نجتهد في فهم طبيعة مايحدث حولنا حتي ولو لم نصل إلي الحقيقة المطلقة ، إلا أن مجرد قرار التفكير يجعلنا نستريح إلي أن هناك سبب حتي ولو لم نكن ندركه .

خلاصة القول ، إن مجرد إعمال العقل يرينا الحق مهما إختلفنا عليه ولكن التفكر في الأمر يجلي لنا الحقائق ، بينما التدبر في أيات الله يصل بنا إلي اليقين بأن أيات الله المبصره هي الطريق الذي يجب علينا أن نسلكه حتي نصل إلي المستوي الأيماني الذي يجب أن نكون عليه .

فنحن إن عقلنا أصبحنا مسلمين . . . . . وإن تفكرنا أصبحنا مؤمنين . . . . . وإن تدبرنا كنا أقرب إلي طريق التقوي لأننا وقتها نصبح من عباد الله المخلصين .

اللهم أجعلنا من المتدبرين في قرأنك المتفكرين في دلائل قدرتك العاقلين لأياتك المقرين بوحدانيتك . . . . . اللهم أمين

## ١١ – ولا تجد أكثرهم شاكرين ...!!

في قرأة في سورة الأعراف توقفت عند أية شديدة الخطورة ، الأية التي أقربها أبليس – عليه لعنة الله – علي نفسه طريق الضلال الذي سيسير فيه بل وسيسير معه من ضل من بني أدم :

**﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾**

لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، هل هذا هو الطريق الذي سيأتينا منه أبليس عليه لعنة الله . . . . . . . سبحان الله . . . ! ! !

إن أبليس قد توعدنا ليس عن طريق الضلال ، أو عن طريق الكفر ، أو طريق الغواية . . . . . فهذه جميعا نتائج نصل أليها بعد أن يقعد لنا هذا الملعون علي الصراط المستقيم فيحيد بنا عن طريق الأيمان إلي طريق الغواية . . . . . الله . . . . . . الله . . . . . . . . . الله . . . . ! ! !

ما أجملك يا ربي وما أجمل كلماتك . . . . . . وما أبلغ أيات قرأنك . . . . .

إن أبليس اللعين سيأتينا من حيث نعتقد أن هذا هو طريق الهداية ، سيأتينا من الصراط المستقيم ليبدأ في التشكيك وزرع الوساوس فيما نفعله أو فيما يفعله الأخرون ليحيد بنا عن الطريق الصحيح فتكون النتيجة هي البعد عن الله .

كلنا نربط بين أبليس الملعون والمعاصي ، ولكننا نغفل أن أبليس لن يبذل مجهود مع عاصي لأنه قد سار علي طريقه بالفعل وأن كل مايحتاجه هو فقط في تزيين هذه المعاصي لكي يستمر فيها ، أما المجهود الأكبر والفعل الأعظم لأبليس – عليه لعنة الله – هو في صالح الأمر ، في أن يصل بنا إلي أن نشكك في كل ما نفعله أو يفعله الآخرين ليحيد بنا عن الطريق الذي إختاره الله لنا . . . . . الصراط المستقيم . . . . . سبحان الله .

وبنظرة أكثر عمقا ، نجد أن أبليس قد لخص سياسته معنا في أمر واحد فقط . . . . ولا تجد أكثرهم شاكرين . . . سبحان الله ، لم يقول ولا تجد أكثرهم مؤمنين ، لم يقول ولا تجد أكثرهم مستغفرين ، لم يقول ولا تجد أكثرهم موحدين . . . . . بل ولا تجد أكثرهم شاكرين . . . . . سبحان الله . . . ! ! !

هذا هو طريق أبليس . . . . عدم الشكر . . . . . التكبر علي النعمة . . . . إغفال فضل الله علينا

إن أول طريق مقاومة الغواية هي في شكر نعمة الله علينا ، نعمة العقل التي ميزنا بها الله سبحانه علي كافة المخلوقات وجعل منها طريقا سويا لمعرفة الحق وإقراره حتي نصل إلي مرحلة اليقين التي هي بحق مرحلة الخلاص .

ولا تجد أكثرهم شاكرين . . . . هذا هو المخطط لو كنتم تعقلون . . . . ! ! !

إن مخطط أبليس قد تم إعلانه صريحا واضحا جليا ولكننا لا نزلنا نغفله ، كلنا إنشغلنا بذنوبنا ونسينا أن العزيز القدير هو من يمحو الذنوب جميعا وأن رحمته قد وسعت السموات والأرض لا تنقص منهما شئ.

يقول العزيز القدير في سورة النحل الأية (١٨) في تحدي أخر لبني أدم : ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . . . . كلنا يمر علي هذه الأية ولا نري الإعجاز العجيب فيها . . . . وإن تعدوا نعمة الله . . . . نعمة واحدة وليست نعم . . . . هل النعمة الواحدة تحتاج لإحصاء . . . . ماذا ستشعر إذا أعطيتك جنيه وطلبت منك أن تعده ، هل ستقوم فعلا بعده للتأكد من قيمته . . هذا هو الإعجاز الذي ليس بعده إعجاز . . . ! ! !

نعم إنها وإن تلك نعمة واحدة من العزيز القدير إلا أنها لا زالت تستحق أن تحصي وتعد ويستبان قيمتها لأن نعمة الله تحتوي علي ملايين النعم التي تستحق الشكر والحمد والتي حقا لن نستطيع مهما حاولنا أن نحصي ما تحويه نعمة واحدة من أنعم الله الكثيرة التي تستحق الشكر.

وحتي يصل بنا العزيز القدير إلي طريق الهداية الذي نغفله ، فإنه يقوم بطمأنتنا ويزرع في نفوسنا السكينة لإنه يعلم أن الإنسان ضعيف أمام نزواته ورغباته فيرسل لنا نفحه لعلنا نطمئن بها ونفرغ إلي ما وجب علينا لنتجنب طريق الشيطان.

هل رأيتم هذه النفحة كما رأيتها ، إن الله لغفور رحيم ، إطمئنوا ولاتجعلوا جل همكم في ذنوبكم لأنكم مهما أوتيتم من أيمان ومعرفة وقوة لن تفلتوا أبدا من هذا الشيطان اللعين إلا برحمة من الله ومغفرته وهاهو سبحانه يطمأننا ويؤكد لنا أنه هو الغفور الرحيم حتي نفرغ لمقاومة أبليس وذلك من خلال الطريق الذي حدده هو نفسه عندما طلب أن يكون من المنظرين . . . . .

الشكر هو الطريق . . . . . الشكر هو دليل الأيمان ، أما الإستغفار فهو فقط دليل الأدمية لإن كل أبن أدم خطائ وخير الخطائيين التوابون . . . . . فلنستغفر جميعا لذنوبنا وهي كثيرة فهذا هو طريق النجاة ، ولكن الشكر هو طريق الأيمان ، هو طريق البعد عن الملعون هو طريق الخلاص من مخطط أبليس . . . . .

فالشكر هو الدليل علي أننا لم نعد نسلك طريق أبليس ونسير علي خطاه التي أخرجته من الجنه عندما تكبر ولم يشكر نعمة الله عليه الذي رفعه وجعله من جلساء الملائكة .

اللهم أجعلنا من الشاكرين لنعمتك علينا الحامدين لما تفضلت به علينا من نعمة الأيمان ، ولاتجعلنا من المتكبرين الجاحدين وأرزقنا مغفرة نبرأ بها من ذنوبنا ورحمة تدخلنا بها جنتك بدون حساب . . . . . اللهم أمين

# ١٢- أعدت للمتقين...!!

هل تفكرتم يوما في معني التقوي أو سألتم أنفسكم في من هم المتقين . . ! !

يقول العزيز القدير في سورة آل عمران الأية ١٣٢

﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

إن الله يدعونا إلي جنة عرضها السموات والأرض وإلي وعد من ربنا سبحانه بالمغفرة إن نحن أصبحنا من المتقيين . . . ولكن من هم هؤلاء المتقيين الذين وعدهم الله مغفرته وجنته . لم يترك العزيز القدير الأمر لإجتهادنا أو لتفسيراتنا أو لإختلافاتنا ، بل جعلها واضحة جلية لاتقبل اللبس أو الإختلاف. لقد حدد الله سبحانه وتعالي من هم المتقيين. والغريب في الأمر آننا جميعا نأتي علي هذه الأيات التي تفسر معني التقوي ولكننا دوما نقرأها بشكل منفصل عن معناها وهذا هو ما توقفت عنده وأنا أقرأ في سورة آل عمران .

كلنا نستعمل هذه الأيات عند إشتداد الغضب بنا ونحن نذكر أنفسنا أن كظم الغيظ من الفضائل ، بل أننا جميعا جعلنا من تعاقب الآيات دليل علي التدرج في كبح زمام الغضب وذلك حسب الرواية المشهورة عن سيدي زين العابدين بن علي الذي أعتق جاريته بعد أن قالت له والله يحب المحسنين:

﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

ولكنني اليوم وقفت عند معني أعمق من هذا التدرج . . . . . لقد حدد العزيز الحكيم وصف المتقيين في هذه الآيات وهو مانغفله جميعا بالرغم من أنه جاء واضحا جليا . . . . أنظروا إلي هذه الآيات كما جاءت في سورة آل عمران:

﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (١٣٨) ﴾

لقد حددت الآيات وصف المتقيين الذين يعدهم الله سبحانه وتعالي مغفرة منه وجنة عرضها السموات والأرض وهم :

١-من ينفقون في السراء والضراء فلايكون إنفاقهم فقط وقت الرخاء ، بل أنهم ينفقون وقت العسرة أيضا لثقتهم في خالقهم ولأيمانهم بأن الرزق من عند الله وأن كل مايملكونه إنما هو لله سبحانه ، فيحافظون علي حق خلق العباد في السراء كما يحافظون علي حق رب العباد في الضراء .

٢-هم من يكظمون غيظهم إبتغاء مرضاة الله بعد أن جعلوا الله فقط هو حسبهم فلم يعد كيد الناس بمخرجهم من معية رب الناس .

٣-هم من يعفون عن الناس طمعا في أن يرزقوا عفوا بعفو وأن يكون عفوهم عمن أساء إليهم قربانا لله يدخلهم به في زمرة من عفا عنهم الرحمن الرحيم

٤-هم المحسنين الذين يقابلون الإساءة بالإحسان

٥-هم من يخطأون ويأتون الفاحشة بل ويظلموا أنفسهم بظلمهم للغير ، ولكنهم يعلمون أن أيمانهم لن يعصمهم وأن العزيز الحكيم قد علم أننا جميعا سنخطئ ولكن يبقي الفضل ، كل الفضل لمن سيستغفر لذنبه فور تيقنه من الذنب ، لأنهم علي يقين بأن الذنب لا يغفره إنسان بل أن من بيده الأمر فقط هو من يغفر الذنوب جميعا

٦-هم من لم يصروا علي ما فعلوا طالما علموا أنهم كانوا علي خطأ سواء في حق إنسان أو في حق أنفسهم

نعم هذه هي صفات المتقيين التي أن قرأنها بتمعن فسنجد أنها جميعا تعني بشئ واحد فقط . . . المتقيين هم من جعلوا الله سبحانه هو الفيصل بينهم وبين الناس بل بينهم وبين أنفسهم .

المتقيين هم من قدموا رضا الله علي غضبهم فكظموا غيظهم وقدموا طمعهم في عفو الرحمن علي ثأرهم ممن ظلمهم فعفوا عمن أخطأ في حقهم ، بل أنهم قد قدموا تيقنهم من عطاء الله وترك العوض علي من لا يضيع عنده حق علي إحساسهم بالظلم فنجدهم وهم يقابلون السيئة بإحسان .

نعم . . . . هؤلاء هم المتقيين الذين جعلوا من طمعهم في رحمة الرحمن وعفو من بيده الأمر يقينا فلا يصرون علي ذنب إقترفوه ، فنجدهم وهم يسارعون إلي الإعتراف بذنوبهم وإن صغرت ولم تأخذهم العزة بالأثم ولم يصروا علي ما فعلوه فيسارعوا بالإستغفار لذنوبهم لإنهم علي يقين أنه لن يغفر هذه الذنوب إلا الرحمن الرحيم .

ولكن مالفت نظري في هذه الآيات ، مايخبرنا به العزيز القدير من أن المتقين سيفعلون الفاحشة . هل يعقل هذا . . . ؟ ؟

هذا هو مايخبرنا به العزيز الحكيم ، من أن كل أبن أدم سيخطئ ولا عصمة لأحد ولكن الفضل لا يكون إلا لمن أبقي قلبه حي بذكر الرحمن لأنه يعلم أنه لن يكون أبدا معصوما وأن أبليس يقعد للمؤمنين علي الصراط المستقيم ، فلم يعد يزكي نفسه علي الله

بأنه لا ولن يخطئ ، بل جعل كل همه هو في أن يحافظ علي ذكر الله كثيرا حتي إذا وقع في معصية ذكر الله ، فأستغفر لذنبه وهو علي يقين من أن الذنوب لا يغفرها ولا يمحيها إلا الرحمن الرحيم .

نعم كلنا أخطأنا . .ونخطئ . . . وسنخطئ . . . لأننا بشر ، ومن يتخيل أنه لا يخطئ فهذا هو من إفترض لنفسه العصمة فضل عن سواء السبيل . بل أن المولي عز وجل يخبرنا أيضا عن المتقين أنهم كما وأنهم يفعلون الفاحشة ، فإنهم أيضا سيظلمون أنفسهم . . . فكيف يمكن لمن كان من المتقين أن يظلم نفسه . . ؟ ؟

حقيقة الأمر أن كل أبن أدم يظلم نفسه مهما كانت درجة أيمانه لأننا هكذا خلقنا وهكذا أخبرنا العزيز القدير ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾

نعم ، يظلم الإنسان نفسه عندما يجور علي حقوق الآخرين ، أو عندما يتخيل أنه فقط علي صواب وكل من يخالفه علي باطل . يظلم الإنسان نفسه عندما يدعي الأيمان لنفسه ويجعل كل من هو دونه علي محك الكفر . وهذا الظلم لا يقع فيه إلا من إعتقد أنه مؤمن . لهذا يخبرنا العزيز الحكيم أن المتقين قد يقعون في الفاحشة كما وأنهم قد يظلموا أنفسهم ، ولكن لأنهم من المتقيين ، فإنهم سرعان مايعودوا إلي العزيز الحكيم وهم يتذكرون أنعمه عليهم فيستغفروا لذنوبهم ولم يصروا علي خطأ أقترفوه كما ولم يدعوا

لنفسهم الأفضلية لأيمانهم أو لتقواهم لعلمهم أن كل أبن أدم سيخطئ وأن الفضل قد جعله الله لمن رجع وتاب وأناب ولم يصر علي مافعل .

أعتقد أن هذه الأية من سورة الكهف تلخص الموقف كله وتعطي التفسير الواضح لكل من سيضل وهو يعتقد أنه علي طريق الأيمان : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

وأيات التقوي كثيرة في القرآن ، ولكل منها سرها الذي يجب أن نتوقف عنده ونبحث في كينونته لعلنا نكون من المهتدين إن شاء الله . إحدي أيات التقوي أيضا التي قد تقودنا إلي تفسير التقوي ومعرفة السبيل لأن نكون من المتقين هي في سورة البقرة الأية ١٨٣ :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

ما علاقة الصيام بالتقوي ؟ ؟ ؟

كيف يكون إلتزامنا بالصيام هو طريقنا للتقوي ؟ ؟ ؟ ؟ ؟

إن الصيام بمعناه اللغوي هو الإمساك ، فالصائم هو الذي أمسك عن فعل أمر ما كأن يمسك عن الكلام مثلا كما فعلت السيدة مريم أو كما فعل سيدنا زكريا ، أو قد يكون في الإمساك عن الطعام والشراب كما هو الحال في صيام رمضان مثلا .

إذا فالصوم هو في أن يمسك الإنسان عن شهواته الإنسانية إيا كانت بأختياره ، وهو يجعل من إمساكه هذا تقربا للعزيز القدير وهو المطلع عز وجل علي نية هذا الصوم ومدي إلتزامه به . لهذا قرن الله سبحانه وتعالي الصوم بالتقوي ، لإن الصوم والتقوي لهما نفس المعني ونفس الهدف ، فكلاهما إمتناع بغرض أرضاء الرحمن يعلمه علام الغيوب ويري الناس أثره في تعاملاتنا معهم .

فلو كان الإسلام هو إعلان التوحيد و تسليم الأمر ظاهره وباطنه إلي صاحب الأمر . .

ولو كان الأيمان هو في أن يري الله من عبده دلائل إسلامه بأن توافق أعماله وعباداته ماوقر في قلبه من حقيقة الأيمان . . .

فإن التقوي هي في أن يري الناس منك دلائل أيمانك . فالأيمان ليس بما نفعله من عبادات ، بل بما ننتويه من هذه العبادات وهذا هو مايطلع عليه علام الغيوب ، أما التقوي فقد جعلها العزيز الحكيم هي الحكم للناس ليروا دلائل أيمانك في معاملاتك . . وهذا هو بيت القصيد .

اللهم إنفعنا بالقرأن . . . وأجعلنا من المتقيين . . . . . وبصرنا طريقك . . . . . وطوع لنا نفوسنا حتي لا نكون ممن يصرون علي مايفعلون . . . . .

اللهم أمين . . .

## ١٣- أجيب دعوة الداعي ... إذا دعاني ...!!

أتوقف كثيرا عند أيات الدعاء عندما يقطع الله سبحانه وتعالي دوما الوعد علي نفسه بإستجابة الدعاء مباشرة لكل من دعاه وهو الأمر الذي يصيبني بالحيرة. هل يستجاب حتي لمن كان عاصي . . . . هل يستجاب حقا لمن كان أثما أو مذنبا . . . بل هل يستجاب لمن كفر بالله إن هو فقط إلتجأ إلي الدعاء ؟؟

يقول العزيز القدير في سورة البقرة الأية ١٨٦ : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ .

هل بعد هذا الوعد الصريح المباشر بإجابة الدعاء شك في أن دعائنا لن يستجاب ؟؟؟؟؟

إننا في الحياة الدنيا نقول أن كلام الملوك لا يرد فما بالنا بكلام ملك الملوك ، هل يعقل أن يقطع الله وعدا علي نفسه ثم تتشكك نحن العباد في وعد رب العباد . . . ؟؟؟؟

لقد كان الوعد بالأجابة لكل عباد الله المؤمن والكافر المحسن والمسئ الطائع والعاصي ، لم يستثني الغفور الرحيم أحد من وعده بالأستجابة عندما قال أجيب دعوة الداعي فقط إن هو دعا الله ، بل أنه لم يشترط الإخلاص في الدعاء . . . . . فقط كل ماهو مطلوب هو أن ندعو الله فيستجيب لدعائنا . أما طلب الأيمان الذي تلي وعد الإستجابة لم يكن بشرط

لقبول الدعاء بل كان توضيح وبيان أن الأيمان قد يصل بنا إلي طريق الرشد حيث يكون الدعاء هو دعاء الحبيب لحبيبه وليس دعاء المضطر . . . وشتان بين هذا وذاك .

أنني أعتقد أن الله سبحانه وتعالي قد جعل الدعاء حقا متاحا لكل خلقه المؤمن منهم والكافر ، المصيب منهم والمخطئ ، الملتزم منهم والعاصي . . . . . هكذا كان وعد الله لعباده جميعا ولم يشترط في قبول الدعاء أن يكون الداعي مؤمنا أو مسلما بل أن يكون فقط إنسانا طبيعيا يسير وراء فطرته عند الإضطرار فيلجأ إلي من يصدق أنه سينجيه وذلك كما أخبرنا العزيز القدير في سورة يونس الأية (١٢) : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ** ﴾ . أو كما يقول في سورة الزمر الأية (٨) : ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيباً إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَاداً** ﴾

هكذا هي طبيعة الإنسان الذي جبلنا عليها بغض النظر عن درجة إيماننا ، إذ أننا لا نتذكر أن لنا ربا ندعوه إلا عند وقوع الضرر ، عند إشتداد الأمر وتيقنا بأنه لا حول لنا ولا قوة في دفع هذا الأمر لأن الأمر كله لصاحب الأمر كما يخبرنا العزيز القدير في سورة العنكبوت الأية ٦٤ : ﴿ **فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ** ﴾

ولكن كيف يستجيب الله لمن أمن كما يستجيب للكافرين . . . كيف يمكن أن يستوي المؤمن والكافر في قبول الدعاء وهل يتعارض ذلك مع العدل الألهي . . . . هذا هو السؤال ؟ ؟ ؟

هل عندما نقع في المعاصي ونأتي بالذنوب ونستسلم لشهواتنا لنقع في الحرام ، هل لانزال بإمكاننا الدعاء بل والتيقن من الإجابة مثلنا في ذلك مثل من أمن وأتقي وأصلح وخاف مقام ربه . . . . أم أن وقوعنا في الحرمات يخرجنا من دائرة الموعودين بالإجابة تصديقا للحديث النبوي الشريف ((الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له ))

أعتقد أن الأمر كله متوقف علي كلمة واحدة فقط وهي التي تفسر هذا الأمر . . . . ((عبادي ))

نعم هذا هو السر الذي نغفله طالما كنا في المسرة نحيا ولاتتذكره إلا عندما يأتينا الدهر بمصائبه فنتذكر أن لنا ربا وألها يمكن أن ندعوه ونلح عليه بل ونطمع في أن يستجاب لنا لإن هذا هو الوعد . . . . ووعد الله حق .

نعم جميعنا يستجاب لنا عند الدعاء شرط أن نقر علي أنفسنا بالعبودية ونقر للخالق القدير بالربوبية فتكون الإجابة حق لكل من دعا وهو يقر ولو بينه وبين نفسه بالعبودية لمالك الملك .

هكذا هو حال أبن أدم لا يتذكر الدعاء إلا إذا مسه الضر وضاقت به الدنيا فلم يجد من يرجع إليه إلا العزيز الحكيم وتذكر أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله وأن كل جبروته وقوته ما هي إلا وهم لأن الجبروت الحق لله العلي القدير.

يقول الشيخ الشعراوي في هذا الأمر أنه كان في الزمان البعيد البعيد ما يسمي بحلاق الصحة المنتشر في القري والنجوع وقت لم يكن هناك إنتشار للطب والأطباء في هذه الأماكن الفقيرة المعدومة ليكون حلاق الصحة هذا هو القائم بكل أعمال الطب والتطبيب في قريته بناء علي لقبه وليس علي علمه بطبيعة الأمر. فلما إنتشر الطب وتم إرسال الأطباء إلي هذه القري، فإن حلاق الصحة كان أول من يشكك في علم هؤلاء الأطباء وقدرتهم، بل أنه ظل عاكفا يذكر أهالي القرية بما فعله من أجلهم وكيف إستطاع أن يشفي هذا ويعالج ذاك حتي كان اليوم الذي أصيب فيه أبنه ووقع به وبأهل بيته الضر، فما كان منه إلا أن تسلل ليلا إلي طبيب القرية طالبا العون والمساعدة حتي يعبر هذا الضر الذي أصابه، ولله المثل الأعلى من قبل ومن بعد.

فهكذا نحيا جميعا للأسف وقد صدق كل منا أنه قد أوتي ما أوتي علي علم عنده ونسينا جميعا أنه لا حول لنا ولا قوة إلا بحول الله وقوته. وأنه مهما وصلنا من درجات العلم والإيمان والتقوي وصلاح القلوب، فإننا سنفتن يوما في دنيانا ودينا وأن الصلاح لا يكون بالأيمان وقت اليسر ولكن يكون بالصبر وقت الإبتلاء.

عندما قطع الله سبحانه وتعالي الوعد علي نفسه بأن أدعوني أستجب لكم ، كان هذا الخطاب موجها لعباد الله ، لكل من صدق أنه عبد من عباد الله وأن الأمر كله لله فكان دعاؤوه إقرارا علي نفسه بالعبودية ولخالق السموات والأرض بالربوبية . . فمن تذكر حول الله وقوته ودعاه مخلصا كان حقا علي الله إجابته مهما كانت ذنوبه ومعاصيه لأن دعائنا هو رجوع لله وهذا هو كل ما يريده الله منا ، أن لا نتكبر عن عبادته ولا تأخذنا العزة بالأثم فنصدق أن أيماننا قد أعطانا الأفضلية عمن غيرنا أو أن معاصينا قد حرمتنا رحمة الرحمن الرحيم لأن الأمر كله لله .

ولكن هل يقبل الله الدعاء في مجمله أيا كان ، أم أن هناك من الدعاء ما لا يستجاب ؟ ؟ ؟

مرة أخري سأرجع إلي وعد الحق بأن كل دعاء العباد مستجاب ولكن الإستجابة هنا لا تعني أبدا تحقق ما نريده بل تعني تفويض العزيز القدير في أن يفعل مايشاء وقتما يشاء كيفما يشاء . . . . لأن هذه هي طبيعة العلاقة بين العبد وسيده .

إننا عندما أقررنا علي أنفسنا بالعبودية فقد أقررنا بالتبعية بحق مالك الملك في أن يفعل مايشاء وقتما يشاء بل وأقررنا علي أنفسنا بقبول حكمه والإنصياع له لإنه هكذا يقبل العبد من سيده ما يجود به عليه أيا كان مايطلبه ويمني النفس به . إن شرط تحقق إجابة الدعاء مرهون في الأساس بقبولنا لفكرة أن العزيز الحكيم يعلم منا ما لا نعلمه عن أنفسنا وأن قبول الدعاء لا يعني تحقق ما نطلبه بل قد يعني منع بلاء يعادل ما نطلبه من نعم .

فقد يطلب أحدنا من الله مبلغا من المال فيتقبل منه ويمنعه الرحمن الرحيم من حادث كان سيذهب بكل ما سأل من مال. لهذا كان شرط تحقق إستجابة الدعاء هو في تصديقنا أنه ليس كل ما نطلبه خير لنا ولكن الخير كل الخير فيما يقضيه الله وفي قبولنا لما يأتينا ونحن علي يقين أنه أرحم بنا من أنفسنا وأنه لا يقضي لنا إلا بالخير.

أما ما نغفله جميعا للأسف، هو في ديمومة الدعاء حيث أننا جميعا نتذكر الدعاء لنلجأ إلي الله فقط عند الشدائد وإذا ما أصابتنا المصائب ونزلت بنا المكاره، وكأن وجود الله في حياتنا مرهون فقط بوقوعنا في المصائب ناسيين أن الدعاء هو أصل العبادات تصديقا لقول العزيز الحكيم في سورة غافر الآية (٦٠) : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ . . . . أمر صريح ومباشر بالدعاء ووعد حق بالإجابة ووعيد لمن إمتنع عن الدعاء وإستكبر عن العبادة بأن جزاؤه جهنم وبئس المصير.

هكذا هو حال الدعاء . . . . وهكذا هو شرط الإجابة . . . . . كونوا له عباداً منيبين . . . . . يكن لكم رباً رحيما

اللهم أرزقنا قلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأجعلنا يا رحمن يا رحيم من الذين إستجبت لهم دعائهم وأرضيتهم بما قسمته فإنك لا تقسم لنا إلا مافيه خيرنا وصلاحنا إنك أنت العزيز الحكيم . . . . . اللهم أمين . . .

## ٢٤- إن مع العسر يسرا ...!!

هل فينا من لا يحفظ سورة الإنشراح ، هل فينا من لا يحفظ هذه الأيات ويكررها يوميا . . . لاأعتقد ، بل أنني علي يقين أن من معجزات هذا القرآن أن الله سبحانه وتعالي قد سخر لنا نفوسنا لنحفظ جميعنا هذه السور القصيرة بل ونكررها في صلاتنا بشكل يومي حتي يبث فينا الأمل إن نحن فقط تدبرنا في ما نحفظه من أيات القرآن . . . . . مهما قلت الأيات التي نحفظها . . . . . سبحان الله . . . . ! ! !

كل كتب التفسير أجمعت علي أن هذه السورة قد نزلت في رسول الله صلي الله عليه وسلم تثبيتا له بعد ضيق أصابه وذلك عندما أجمعوا في التفسير علي أن شرح الصدر كان بعد شق صدر الرسول صلي الله عليه وسلم وإخراج كل ما قد يدعوه إلي الغل والضيق بل وإستبداله برحمة ورأفة تعينه علي تبعات الرسالة وما قد لاقاه من عداء قومه وإستهجانهم وتعنتهم لأمر الرسالة . . . . . كل كتب التفاسير قد أجمعت علي هذا المعني من الطبري والقرطبي وإبن كثير وحتي الظلال والجلالين وصولا إلي موسوعة النابلسي .

ولكنني عندما قرأت هذه السورة ، إستشعرت أنها تخاطبني أنا أيضا كما شعرت أن العزيز القدير يخاطب كل أتباع الرسول الكريم بهذه السورة كما خاطب بها رسوله صلي الله عليه وسلم .

إن هذه السورة (سورة الإنشراح) هي دعوة لتثبيت قلب المؤمن إن هو تدبر معانيها وقد وقر في قلبه أن الله سبحانه وتعالي قد أنزل هذه السورة لكي يطمئن قلوبنا بهذا الوعد الحق الذي تطمئن به القلوب – إن هي صدقت في هذا الوعد الحق .

أنظروا معي إلي هذه السورة من منظور مختلف عما حفظتموه . . . . . أنظروا معي إلي هذه السورة وكأنها موجهه إلي كل إنسان مؤمن بقضاء الله ليجد فيها بروشتة علاج تبث في نفسه الأمل وتزرع في قلبه اليقين أن الخير قادم لا محالة مهما طال العسر وزاد الهم ، ليس عن حول منا وقوة ، بل عن وعد من الله . . . . . ووعد الله حق لو كنتم تعلمون .

لقد قدم الله لنا بالأنعام التي أنعم بها علينا حتي نبدأ في التفكر والتدبر فيبدأ العقل في التفكير ليخرج من تحت وطأة الإحساس بالتشاؤم وفقدان الأمل وتسلط اليأس الذي يدمر قوتنا وقدرتنا علي إيجاد الحلول لما نعانيه من مشاكل وأزمات .

﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ . . . . . الشرح في اللغة يعني الأيضاح والتبصير والتبسيط حتي نستطيع فهم ما يستعصي علينا من قول أو فعل ، وبالمثل ، فإن شرح الصدر يعني الإنبساط والسعة في المدارك حتي ندرك ما فاتنا من أمور بديهية في أثناء إنشغالنا بأمور الدنيا التي ثقلت علينا وأصبحت كالأوزار التي نحملها علي ظهورنا ونسير بها إلي أخرتنا .

ولكن لولا فضل الله علينا بأن شرح لنا صدورنا لنعي فضل الله علينا الذي يمن علينا بمغفرته كل صباح ومساء ليضع عن ظهورنا أوزارها ، لما إستطعنا أبدا أن نكمل حياتنا ونحن طامعين في رحمة الله بل ومتيقنين أن رحمته ومغفرته ستنجينا يوم موقف عظيم مهما عظمت ذنوبنا إن نحن فقط . . . . لازمنا الإستغفار وعمدنا إلي التوبة .

لهذا أرتأيت أن هذه الأيات هي تقديم من الله لكل بني أدم ليذكرهم بأنعمه عليهم فتطمئن قلوبهم وتركن إلي أن الله موجود في حياتهم وهو يرفع عنهم أوزارهم برحمة منه لا بحول ولا قوة منهم ، وهذا هو ما يدخلنا في دائرة الإطمئنان والركون إلي معية الله التي بها تنفرج الأزمات وترفع بها الذنوب وتمحي بها الخطايا .

حتي عندما قال الله سبحانه وتعالي ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ فقد أجمع المفسرين أن هذه الأية بها خصوصية للرسول صلي الله عليه وسلم حيث أن رفعة الذكر كانت عندما قرن العزيز القدير إسم الرسول الكريم بإسمه في الشهادة وفي وقت كل صلاة لتكون هذه هي الرفعة التي لم يؤتها أحد من العالمين .

ولكنني عندما تدبرت في هذه السورة من منظور توجيهها للمؤمنين – الذين أرجو أن أكون منهم – فقد قنعت أيضا أن هذه الأية هي أيضا من التقديم الذي خاطبنا به الله سبحانه وتعالي لإن كل منا يشعر بقيمته بين أترابه وأهله حيث تكون رفعة الذكر نعمة من الله لا نشعرها إلا عندما نجد من حولنا وهم يهتمون لأمرنا ويستمعون لأرائنا

ويصدقون في حكمتنا لتكون الرفعة هنا هي نعمة من الله يهبها لعباده المؤمنين فنشعر بها عندما يذكرنا الناس بالخير ، ليكون ذكرهم هذا رفعة للمؤمنين الذين يصدقون أن الله إذا أحب عبده المؤمن حبب فيه خلقه فيطمئن به قلبه وهو يعلم أن الله معه ولن يخذله وأنه سيسخر له من يكون في عونه ومن سيذكره دوما بالخير .

ولكنه في المقابل قد يكون نقمة علي من طغي الذي يصدق أنه قد أوتي هذا علي علم عنده فيبقي مهموما بما أتاه الله به من أموال وجاه وسلطان مشغولا باله بالتفكير فيما يكيد له الناس ليتحصلوا علي ما عنده من أنعام فتكون رفعته نقمة عليه بما سولت إليه نفسه .

سبحان الله . . . إن الله يطمئننا هنا عندما عمد إلي تذكيرنا بنعمه علينا حتي نركن إلي المعية الآلهية فتطمئن القلوب وتنشرح الصدور ونبدأ في تعقل الأمور فنصيب من التفاؤول ما يجعلنا نصبر علي البلاء مهما أشتد .

**﴿ فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا ﴾** . . . . الله . . . . الله . . . . الله . . . . ! ! !

كل المفسرين قد أجمعوا علي أن مع تعني بعد ولكن الله سبحانه وتعالي قد ذكرها هكذا حتي يبث في قلوبنا الإطمئنان إلي إن فرج الله قريب جدا لإنه إن قال بعد فقد يقنط البعض إن هم ظنوا أن اليسر سيأتي بعد وقت طويل من العسر ، لهذا ذكرها الله مع العسر ليطمئننا أن اليسر سيأتي بعد العسر بوقت قريب جدا . . . . .

ولكنني في الحقيقة أري أن المعية . . . . . حق . . . وأن مع تعني التلازم ولا تعني أبدا التبعية . . . . . ! ! !

إن مع العسر يسرا . . . . نعم إن اليسر يأتي مع العسر ملازما له وليس بعده لإن الله قد أخبرنا أنه قد جعل لكل أمر في حياتنا أسبابا وأنه علينا فقط الأخذ بالأسباب . لهذا فإنني علي أشد القناعة أن الرحمن الرحيم ما جعل لنا عسرا يوما إلي وقد ألزمه أسباب اليسر حتي ولو لم ندركها وقت قوع البلاء وإنشغال نفوسنا بوقع هذا البلاء عليها .

إلي كل من هم في ضيق . . . . . .

إلي كل من هم في عم أو غم أو كرب . . . . . .

إلي كل من يجد في نفسه إبتلاء من الله سبحانه وتعالي . . . . . .

لقد أعطانا الله كنزا خالصا لعباده المؤمنين ألا وهو سورة الإنشراح ، وليس علينا إلا أن نتفكر فيها وكأنها قد أنزلت لنا نحن عباد الله المؤمنين ، وصدقوني . . . . إن فيها الدواء الشافي لكل عسر . . . .

تذكروا أنعم الله عليكم الكثيرة ، تذكروا كل ما مر بكم من خير ، تذكروا كل اللحظات السعيدة التي مرت بكم حتي تنشرح صدوركم بهذه الذكري فتجدوا أسباب اليسر ملازمة تماما لأي عسر يمر بكم .

تذكروا أنه لولا رحمة الله ومغفرته وكرمه لما كان لكم أمل في الآخرة ، بل تذكروا أن الله لم يطلب منكم إلا المداومة علي الإستغفار حتي يرفع عنكم أوزاركم وهي كثيرة . فقط كلمات تنطقونها بقلوبكم فترفع عنكم خطاياكم .

تذكروا أنه لا زال حولكم أناسا يذكرونكم بالخير ويصدقون فيكم بل ويحبونكم في الله الذي رفع من قدركم في غيابكم قبل حضوركم بنعمة وفضل منه إن هو قد أحبكم

فمن سيتذكر هذا ، ويصدق أن الله قد أعطاه الكثير . . . . الكثير ، فإنه سيصدق أن وعد الله حق وأن كل العسر الذي يمر به هو إبتلاء من الله ، وأنه سبحانه وتعالي قد دبر الأمر فبدء في تسبيب أسباب اليسر وقت إشتداد العسر حتي يأتي أمره فيجعل لكم مخرجا من حيث لا تحتسبون .

هكذا هو أمر الله إذا أتي فإنه لا يحتاج لأكثر من كن فيكون . . . . ! ! !

لهذا جعل الله مع العسر يسرا . . . . . لهذا يجب أن نصدق أنه حتي ولو أننا لا نجد الطريق الذي سيخرجنا من هذا العسر إلا أن العزيز القدير قد سبب الأسباب التي لا ندركها

في حينها ، وأنه ليس علينا إلا الصبر علي البلاء والتصديق في معية الرحمن والبحث عن الأسباب في داخل هذا العسر حتي يأتينا اليسر من حيث لا ندري

فلما ضاقت وإستحكمت حلقاتها فرجت وكنت أظنها لن تفرج . هكذا هو الأمر تضيق ، وتضيق ، وتستمر في الضيق حتي يأتي أمر الله فتفرج بحق كن فيكون ، ولكن جل ما يمكننا عمله يكمن في الرضي بقضاء الله والصبر علي الإبتلاء وشكر أنعمه تصديقا لحديثه القدسي: من لم يرضي بقضائي ، ويصبر علي بلائي ، ويشكرني علي نعمائي ، فليخرج من تحت سمائي ، ولينظر له مرب سواي .

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾

اللهم أرضنا بقضائك وصبرنا علي إبتلائك وأجعلنا من الشاكرين الحامدين لنعمائك . . . . اللهم أمين .

## ٥١- ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم ...!!

سبحان الله . . . كلما قرأنا القرآن إكتشفنا جواهر ودرر تأتينا في أوقات معينة وكأنها رسائل ألهية يرسلها لنا العزيز القدير ليثبت بها فؤادنا ويدلنا بها علي الطريق الذي نعرفه ولكن ننساه . . . ندركه ولكن نغفل الأتجاه . . . نتيقن منه ولكن نضل هداه . . سبحان الله . . . هكذا هو القرآن لمن يتدبره ليجد فيه جوابات علي كل مايدور حوله من أمور وكل ما يصيبه من إبتلاءات . . . . سبحان الله . . . ! ! !

لقد جعل الله لنا في القرآن دواء لقلوبنا . . . ولكننا نحن عنه غافلين للأسف .

في قراءة في سورة النساء توقفت كثيرا . . . . . كثيرا . . . . . عند الآية التي هي مفتاح الفرج من وجهة نظري المتواضعة جدا .

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

قرأتها . . . . . وقرأتها . . . . . ثم أعدت قراتها . . . . . وأنا لا أصدق المعني الذي وصلني فقمت إلي كتب التفاسير لعلني أهتدي حيث وجدت معظم المفسرين يتكلمون عن أن هذه الآية كانت موجهه إلي المنافقين حيث يدعوهم الله إلي الهدي ويطمئنهم أنهم إن عادوا لله فقد نجوا من عذابه .

ولكن البعض القليل من المفسرين وجدوا أن هذه الآية موجهه إلي عموم الأمة وأن الله قد خاطب بها المؤمنين أيضا ليخبرهم عن طريق الفلاح ويطمئن قلوبهم إلي أن الإبتلاء ينتهي عند إقرار الشكر لله والأيمان بقدرته وحوله .

معظم المفسرين تحدثوا من هذا المنطلق وهو الأمر الذي يدعونا جميعا إلي التفكر في هذه الآية التي يخبرنا فيها العزيز القدير عن قدرته في أيقاع العذاب بنا وكيفية منع هذا العذاب .

القاعدة الشرعية الفقهية القانونية الإنسانية تقول أن من يملك العقاب . . . . يملك الصفح . . ! !

والمعني العكسي لهذه القاعدة هو أن الصفح لا يقبل من الإنسان الذي لا يملك القدرة علي أيقاع العقاب أو المحاسبة من الأساس . فالقاضي في المحكمة هو من يملك إستصدار الحكم بالحبس أو الحكم بالبراءة لهذا يقوم المتهم بطلب الصفح من هذا القاضي لأنه هو من بيده أمر إنزال العقاب أو إعلان البراءة .

ولهذا فأنه لا معني علي الإطلاق من أن يطلب المتهم الصفح من حاجب المحكمة لأنه ليس بيده شئ . ومن نفس المنطلق ، فإن المتهم قد يطلب العفو من المجني عليه إن صحا قلبه وتذكر أن هناك أخرة وحساب وعقاب ولكن لا يمكن أن يطلب المتهم العفو من أحد أخر حتي ولو كان يحضر إلي جلسات المحاكمة كل يوم . . . ! ! !

ولكن العزيز القدير قد جعل من أمر العقاب الذي هو حق أصيل له وحده لأنه هو من يملك حق المغفرة كما يملك حق العذاب ، إلا أنه قد جعل هذا الحق متاحا لمن أخطأ . . ! !

عندما قرآت الأية بشكل مغاير عن المعاني التي وصلتني وجدتني أري فيها أمرا جديدا تماما لم أصدقه في بادئ الأمر . . . ! !

لقد أعطانا الله سبحانه وتعالي القدرة علي رفع العذاب بإختيارنا وبيدنا وبقرارنا . . . ؟ ؟

إن الله سبحانه وتعالي يخبرنا أن العذاب الذي هو حق بأمره وحوله وقدرته يمكننا جميعا أن نرفعه إن نحن فقط شكرنا لله حق الشكر . . . . . ! ! !

نعم . . . . . إن الأمر بيدنا نحن . . . . . لقد أعطانا الله حق رفع العذاب الذي هو حق له وحده لإنه هو من يملك حق العذاب كما يملك حق المغفرة ، إلا أن العزيز القدير يخبرنا أنه قد أعطانا حق رفع العذاب عن أنفسنا ودلنا علي الطريق لذلك

﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾

هكذا أقرأ هذه الأية الآن . . . . إن شكرتم وأمنتم فلاحاجة لله في إستمرار عذابه وإبتلاءه . . . . . إن شكرتم وأمنتم فتأكدوا أن العذاب قد رفع لأن الله ليس في حاجة لأيقاع عذابه علي من أمن به وشكر له .

لا إله إلا الله . . . . . سبحان الله وبحمده . . . . . سبحان الله العظيم . . . . ! ! !

هل وجدتم من هو أكرم من الله سبحانه وتعالي . . . . ؟ ؟ ؟ ؟

هل وجدتم من هو أرحم وأحن علي عبيده من العزيز القدير . . . . . ؟ ؟ ؟ ؟

كل الملوك والسلاطين والرؤساء يجعلون أمر القضاء والحكم في أياديهم ليعفوا عمن يريدون ويحكمون علي من يريدون . . . . إلا الرحمن الرحيم . . . فقد جعل أمر رفع العذاب وإنهاء الإبتلاء بأيادينا نحن إن نحن شكرنا الله وأمنا به والدليل علي ذلك لم يأتي في سورة أخري أو في أية أخري تبعد كثيرا عن هذه الأية ، بل أنه قد أتي في نفس الأية في نفس السياق متزامنا مع هذا الوعد الألهي الجميل عندما قال عز من قال . . . . . وكان الله شاكرا عليما . . . . ! ! !

لا إله إلا الله . . . . . هل هذا هو الدليل . . . . . نعم . . . . ! !

إن الله يطمئننا إلي وعده ويخبرنا أن الله كان شاكرا لكل من أمن به وشكر له جودته بالنعم . فالله سبحانه وتعالي هو الشاكر الذي لا ينكر فضل من عمل وأمن وشكر وحمد ، فإن نحن شكرنا لله وأمنا به ، فلنتأكد أن العذاب سيرفع عنا لإن الله سيشكر لنا شكرنا له وأيماننا به . . . الله . . . . . الله . . . . . الله . . . . ! ! ! !

يقول العزيز القدير في سورة الأنفال الأية (٣٣) :

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾

إنه هذا الوعد الألهي بأن العذاب لن يقع أبدا طالما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قائما فيهم ، ثم يتم الله نعمته علي عباده جميعا مهما كانت درجة أيماننا ، بأن يؤمننا العذاب طالما كنا من المستغفرين . . . . . ! !

نعم ، إن هذا الوعد لعموم الناس وليس للمؤمنين فقط ، ولكن إن نظرنا بعمق في هذا المعني فستدرك المقصد من كلامي هذا . . . . . من الذي يطلب الإستغفار ، من الذي يطلب العفو ، ومن الذي تتجه إليه بهذا الطلب ؟ ؟ ؟ ؟

إن الإنسان عندما تصيبه أي مصيبة أو إبتلاء يبدأ مباشرة في البحث عمن يستطيع أن ينقذه من هذه المصيبة ، بل أنه لن يتجه بالسؤال والطلب إلا لمن يصدق قلبه ويؤمن في ضميره أنه يستطيع بالفعل أن يخرجه مما هو فيه من ضنك العيش وضيق النفس . لهذا كانت الأية موجهه لكل الناس حتي وإن كان من سيتدبرها ويعمل بها هم فقط من أمنوا ولو في قرارة نفوسهم بالعزيز القدير حتي وإن لم يعلنوا ذلك علي البشر ، لأن الله كان شاكرا عليما .

ولكن كيف يكون الشكر سبيلا لمنع أو وقف أو إنهاء العذاب . . . . . هل هناك ألية لهذا الأمر . . ؟ ؟ ؟

يقول عز من قال في سورة إبراهيم الأية (٧) . . . ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾

أعتقد أن هذه الأية هي السبيل . . . هي الطريق . . . . . . . هي التفسير الواضح . . . ! ! !

لئن شكرتم . . . . . . لئن رضيتم . . . . . . . لئن حمدتم . . . . . . . لئن قبلتم حتي يكون الشكر كما ينبغي لعظيم سلطانه كان الوعد المتلازم الذي لا يقبل التفسير أو التشكيك . . . . . . لئن شكرتم . . . . . . لأزيدنكم

نعم هذا هو الوعد الذي يفسر كل ما حاولت قوله .

الشكر ليس له عند العزيز القدير الشاكر العليم إلا الزيادة . . . . . . .

لئن شكرتم أتاكم الله سبحانه وتعالي من فضله فيجود عليكم بفضل ما لا تعلموه علي فضل ما طلبتموه . هذه هي الزيادة التي وعدنا بها الله سبحانه وتعالي ليكون الشكر هو طريقنا ليجود علينا به الرحمن الرحيم بفضل ما لا نعلمه من خير لأنه من يعلم ما لا نعلم .

يقول الإمام علي كرم الله وجه : "اذاَ وصلت إليكم أطراف النّعم فلا تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بقلَّة الشكر" . أي أنَّ مَن لم يشكرِ النّعَمَ الحَاصلة لديه المعلومة له يقينا ، حُرِمَ النّعمَ القاصيةَ عنه حتي ولو لم يعلمها لإن هذا هو دليل الأيمان

الشكر والإستغفار هما الطريق . . . لكل من أراد النجاة .

الشكر والإستغفار هما طوق النجاة الذي جعله الله سبحانه تعالي بيدنا لنستخدمه وقتما نريد لنرفع به عن أنفسنا البلاء والإبتلاء إن نحن شكرنا لله وأمنا بحوله وقوته . . . ومن ثم إستغفرنا لذنوبنا ، فيكون هذا طريقنا لرفع العذاب عن أنفسنا لإن الله ليس بحاجة أبدا – عز وجل عن أي نقص – لإن يتشفي في عباده حتي وإن أخطأوا ، بل أنه يفتح لنا أبوابا ومراء أبواب حتي نعود إليه ونحن نشكر له ونعلن أيماننا بقضائه وقدره ونبوء إليه بحوله وقوته حتي يكون إستغفارنا لذنوبنا هو عن قناعة تامة بضعفنا أمام قوته وعن رضا تام بكل ما أصابنا لأنه لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا . . . . . وفي هذا قول أخر إن شاء الله .

عودوا أنفسكم علي الحمد وقت العطاء ، حتي يكتب لكم الصبر عند الإبتلاء ، فالحمد عادة والإستغفار عبادة والصبر إرادة . . . .

اللهم أجعلنا من الحامدين الشاكرين المستغفرين الصابرين الراضيين المرضيين . . . ! !

اللهم أمين .

## ١٦ـ إلا عباد الله المخلصين ....!!

بالرغم من أن العزيز القدير قد أعطي أدم –عليه السلام – العقل و فضله بالعلم علي كل خلقه . . . إلا أن أدم بالعقل والعلم لم يصل إلي حقيقة الدين . . .

لم يصل إلي المعني الحقيقي للعبودية . . . . . . .

لم يفهم كيف يثبت حقيقة أيمانه . . . . . . .

حتي كان الخطأ . . . . . . حتي وقع أدم في الخطيئة . . . . . .

وقتها فقط علم أدم أن عقله وعلمه لا يسون شئ وأن كل ما أوتي من علم وكل ما تحصل عليه من نعم لم تكن لتغنيه أو تشفع له عندما أخطأ .

وقتها فقط علم أدم أن الدين وليد الخطأ وأننا ندرك حقيقة أيماننا عندما نخطأ ونسارع بالتوبة والإستغفار . . . .

أنها الحقيقة التي يجهلها الكثيرون . . . . . الدين وليد الخطأ . . . .

نعم . . . . حقيقة ديننا لا تكمن في ما نفعله من عبادات ولا في ما ندعيه من علم ولا في ما نملكه من أنعام . . . .

حقيقة ديننا تكمن في أننا جميعا نخطأ وأن خير الخطائيين التوابون . . . . .

هكذا هو الدين الذي إرتضاه لنا العزيز القدير . . . . .

هكذا كان الدرس الذي تعلمه أدم عندما إمتلك كل شئ . . . العقل والعلم والأنعام التي لا تحصي . . . بل أنه أمتلك الجنة بكل مافيها . . . . . ولكن كل هذا لم يساعده علي أن يثبت حقيقة أيمانه . . .

كل هذا لم يعينه علي أن يظهر مدي عبوديته لمن خلقه . . . .

كل هذا لم يجعله قادرا علي أن يثبت حسن دينه . . . .

ولكن عندما أخطأ . . . . . .

عندما وقع في الخطيئة . . . . . .

عندما تملكت منه نفسه وشهوته . . . . . .

وقتها فقط علم كيف تكون العبودية . . . . . .

وقتها فقط علم أن الدين ليس في ما ندعيه . . . . . .

وقتها فقط ظهرت معالم تدينه . . . . . عندما تاب وإستغفر . . . . ثم تقبل الأمر الألهي أن أهبطوا منها . . . . . .

أفيقوا يا أيها الناس . . . . . فليس الدين في ما تدعونه لأنفسكم من ظاهر الأيمان . . . . بل أن الدين في أن تعلموا أننا جميعا نخطئ وأننا لسنا في موقف القاضي ولا الجلاد . . . . ولا حتي في صف المدعي . . . . . لأننا جميعا تقف في صف المدعي عليه المطلوب منه أن يثبت لنفسه قبل الناس أنه من عباد الله المخلصين .

نحن جميعا في صف المتهم الذي عليه أن يثبت براءته قبل أن تثبت إدانته يوم موقف عظيم . .

أفيقوا . . . وأتركوا الحكم علي العباد لرب العباد . . . ولينشغل كل منكم بنفسه . . . . فقد أسرفت الأسرفة . . . وكلنا غافلين . . . . .

كلنا أخطأنا . . . . وكلنا نخطئ . . . .وكلنا سنخطئ . . . . . .

وهكذا هي طبيعتنا . . . . . وهكذا هي رحمة الخالق العظيم . . . . . .

ولتعلموا أن علامة دينكم ليست في ماتدعونه من عبادة . . فقد كان أبليس طاووس العابدين حتي وصل إلي مرتبة الملائكة . . ولكن هذا لم يشفع له ولم يجعله صاحب دين . ! !

فلتعلموا أن علامة دينكم ليست في ما تدعونه من علم . . . . فقد أعطي الله أدم العلم الذي لم يعطيه إلي ملائكته . ولكن علمه . . . كل علمه ، لم يمنعه من أن يخطئ وتقع عليه العقوبة الآلهية . . . . . ! ! !

إنها الحقيقة التي نحن عنها غافلين ، إن علامة دينكم هي في الإقرار بالخطأ . . . والتوبة . . . والإستغفار . . . . وتقبل نتيجة أعمالكم في الدنيا . . . قبل أن تحاسبوا بها يوم موقف عظيم . . . . .

اللهم أجعلنا من التائبين المستغفرين . . . . .

اللهم تب علينا ولا تأخذنا بذنوبنا . . . إنك أنت الغفار . . . .

لا إله إلا أنت سبحانك . . . إني كنت من الظالمين .

## ١٧- قد أفلح من زكاها ...!!

أثناء صلاة العشاء ، قرأ علينا الأمام سورة الشمس التي هي كمثلها من السور المكية التي تبدأ دائما بأيات القسم من العزيز القدير. وبالرغم من أن هذه السورة من السور التي يحفظها الكثير من الناس والتي أقوم بترديدها كثيرا بيني وبين نفسي إلا أنني توقفت كثيرا عند قراءة الأمام للأيات ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾

وكأنني لم أسمع هذه الأيات من قبل ، وكأنني لم أعي معناها من قبل ، لا أعلم لماذا إستغربت الأيات وذهبت إلى الأمام أسأله عن معناها لأجده وهو يؤكد المعني الذي طالما علمته من هذه الأيات ، أنه من يستطيع أن يطهر نفسه بالطاعات ويزكيها بالحسنات فقد أفلح وأن من يدنس نفسه بالمعاصي فقد خاب وهلك .

لكنني توقفت كثيرا عند المعني اللفظي للتزكية التي تعني إظهار الحسن ، فعندما نقول أن هذا الطعام زاكي أي أن رائحته تعلن عن طيب مذاقه وكذلك الأمر عندما نقول زكي المال أي أخرج زكاته فطهره فظهر للناس طيب هذا المال .

أما دساها فقد وجدت أنها تأتي من الفعل دس وهو مايعني أخفي أو دفن لأننا عندما نقول دس الشئ في التراب فهذا يعني أخفاه ودفنه في التراب فلم يعد ظاهرا .

قرأت التفاسير التي وقعت تحت يدي من أبن كثير والقرطبي والطبري وكل ما وقع تحت يدي من تفاسير ووجدتها جميعا وقد إجتمعت علي أن زكاها تعني طهرها ودساها تعني دنسها وبطبيعة الحال فأنني لا أستطيع أن أدعي خطأ هذه التفاسير ، ولكنه خاطر أتاني قد يصح أو قد يخطأ .

فأذا كان المعني اللغوي الذي ذكرته صحيح من أن التزكية هي في الأظهار والدس في الأخفاء ، فإنني قد فهمت هذه الأيات بشكل مختلف تماما عن التفاسير التي قرأتها .

قد أفلح من زكاها ، أي أنه قد أفلح من إستطاع أن يظهر هذه النفس أما من أخفاها فقد خاب

إذا فالفلاح هو في أظهار النفس والخيبة كل الخيبة في أخفائها وكأن النفس البشرية هي طاهرة وسوية بطبيعتها ولكننا إن أخفينا هذه النفس هلكنا وإن أطلقناها وجعلناها هي التي تحكم تصرفاتنا أفلحنا .

فالنفس البشرية هي سوية طاهرة بطبيعتها . هكذا خلق الله بني أدم بنفس سوية لكل الناس من أمن منهم ومن كفر ، ولكن الفلاح والخيبة ليس أبدا في طبيعة النفس البشرية ولكن في قدرة الأنسان علي غلبة طبيعته البشرية الشهوانية ، فإن أطلق العنان للنفس البشرية لتحكم تصرفاته وأفعاله فهو قد زكاها وأظهر طيبها ولكنه إن أخفاها ودساها فقد خاب لأن الله أعطاه نفس سوية لم يستطيع أن يستفيد بها وفي هذا هلاكه .

هل من الممكن أن تكون النفس هي مانطلق عليه في لغتنا الدارجة . . . . الضمير .

فالضمير الأنساني سوي في المطلق ، والإنسان إما أن يكون لديه ضمير أو لايكون . ولكن هل سمعنا يوما عن ضمير سوي وضمير فاسد ، المعروف والمؤكد أنه أما أن يكون هناك ضمير أو لايكون .

وأعتقد أن النفس هي الأخري سوية في مطلقها ، فمن أطلق لنفسه العنان لتحكم تصرفاته أفلح وربح ومن أخفي نفسه ودساها فقد خاب وهلك . . . . . ! ! !

هل من الممكن أن يكون العهد الذي أخذه العزيز القدير من بني أدم ومن ذريتهم هو من نفوسهم الذي خلقها منفصلة عن خلق الروح والجسد وجعلها نفس سوية طاهرة جبلت علي الفطرة فلا تدنس ولكنها قد تخفي من حياتنا بأختيارنا فيكون الهلاك .

**﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾**

في إستفتاح سورة النساء يقول عز من قال ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء** ﴾ . هل هي حقا نفسا واحدة خلقها العزيز القدير وأخذ منها العهد وأشهدها علي ربوبيته فلايكون هناك مجال لأنكار الربوبية بعد ذلك .

هل هي فقط نفس واحدة خلقها العزيز القدير ثم بس منها في خلقه رجالا ونساءاً . هل كل بني أدم يملكون جميعا هذه النفس الطيبة التي شهدت للعزيز القدير بالربوبية منذ الأزل وأن كل ماهو مطلوب منهم هو فقط في أن يزكوا هذه النفس ليظهروا طيب أعمالهم وأن لايدسوها وسط معاصيهم وذنوبهم فيهلكون ؟؟؟

لم أجد في أي من التفاسير التي قرأتها مايؤكد هذه الفكرة ولكنني بالفعل قد أسترحت إلي فكرة أن النفس هي في الأساس طاهرة زكية خيرة أقرت للعزيز القدير بالربوبية منذ الأزل وهو ما يفسر حق الأختيار الذي أعطاه الغفور الرحيم لأبن أدم أما من أتباع نفسه وتزكيتها والإقرار بعهدها التي قطعته بالربوبية لله سبحانه وتعالي أو بأتباع شهواته الإنسية ودس نفسه وسط تراب المعاصي والتنصل من هذا العهد لأجل متع دنيا زائلة .

أنا لاأدعي لنفسي أبدا أنني أستطيع تفسير القرآن بأي شكل من الأشكال ، ولكنني أكيد أن وقع أيات القرآن في قلوبنا لايحتاج ألي تفسير المفسرين لأن الله سبحانه وتعالي قد جعل من القرآن هديا لكل النفوس الطاهرة التي تستطيع أن تعي كلام الله .

جعلنا الله من المنتفعين بالقرآن المقرين بالربوبية المزكيين لنفوسهم ووقانا شر دس نفوسنا . . . . . اللهم أمين .

## ١٨- أن يقولوا أمنا ... وهم لا يفتنون ...!!

المتمعن في أيات القرآن المتدبر في معانيه لا يستطيع أن يتوقف أبدا عند حد فهم معاني الكلمات لأن المعاني التي يحويها القرآن بين كلماته أكبر وأعمق وأحلي لمن إستطاع أن يصل أليها بفتح من الله سبحانه وتعالي. شغلتني دائما بداية سورة العنكبوت وأعجبت بها وجعلتها دوما أمام عيني . . . . تقويني وتشد من أزري وتزرع في قلبي قدر من الرضي يجعلني أقبل من حياتي كل مايمر بها من إبتلاءات وأنا أراها علامات حب من الغفور الرحيم. ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ**﴾

هل الإبتلاء . . . . . . إبتلاء . . . ؟؟

يتسائل العزيز القدير بصيغة الإقرار إن كان الناس . . . . كل الناس يتخيلون أنهم إن قالوا أمنا بالله فإنهم سيكونون بمأمن من الفتنة التي هي حق علي كل بني أدم . . ؟؟

ما هذا الخلط في الدين بفعل الضعف الانساني الذي يجعلنا نتخيل أن أيماننا بالله يجعلنا بمأمن من أن يمتحننا الله ويختبر درجة أيماننا . . . ؟؟

إن الأبتلاء من الله لعباده ليس أبدا نوع من أنواع العقاب الألهي الذي يوقعه الغفور الرحيم بعباده لأنه ليس بحاجة إلي أن يعذبنا كما أنه يعطينا الفرصة بعد الأخري ونحن نخطئ كل يوم

حتي نعود أليه و نعلن توبتنا مراجين عفو من يفرح بتوبتنا بل وينتظرها حتي يعفو عن كثير من ذنوبنا كما وعدنا .

إنني دائما أري من هذه الأية بيان حق من الحق أن الإبتلاءات ليست إلا إمتحان يمر به كل بنو أدم كلا علي قدر أيمانه ، فمن خف أيمانه كان إبتلاءه بسيطا ومن عظم أيمانه كان أبتلائه علي قدر أيمانه لأن من يبتلينا ويفتنا هو العدل الحق الذي وعدنا ووعده الحق أنه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .

لهذا كنت ولا نزلت علي قناعة أن هذه الأية هي دستور حياة لا يعيها إلا الإنسان المؤمن وذلك عندما يصدق أن أيماننا لا يدفع عننا الأبتلاء ، بل أن أيماننا هو الذي يقوينا علي قبول الأبتلاء والصبر عليه والرضي بما قسمه الله لنا حيث يصبح رضانا عن الله هو الدليل علي أن الله قد رضي عنا ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

ولكنني اليوم وصلني من هذه الأية مفهوم جديد لم يمر ببالي من قبل عندما تمعنت فيمن أختارهم الله سبحانه وتعالي ليكونوا هم الطرف الآخر في معادلة قبول الإمتحان وهم كل من سيقولون أمنا . . . . . ؟ ؟

كلنا يعلم أن الدين درجات تبدأ من أعلان التوحيد لكل من شهدوا بأنهم مسلمون ثم التدرج إلي المراتب العلي درجة درجة لنرتقي في ديننا من كوننا مسلمين لنصبح من المؤمنين ثم إلي المتقين ، جعلني الله وأياكم من المتقين . . . اللهم أمين .

ما وصلني من هذه الأية اليوم عجيب وإن كنت متأكد أنه ليس بجديد . . . . ! ! !

لكل درجة من درجات الدين دليل ، فالعبادات من صلاة وزكاة وصيام وحج وقبلهم نطق شهادة التوحيد ، جميعهم ليسوا إلا دليل إسلامنا لأننا جميعا يعلم أنه لا يمكن أن نجد مسيحي أو يهودي مثلا يصلي صلاة المسلمين أو يصوم صيامهم أو يحج حجهم أو يزكي زكاتهم . بل أنه من المستحيل أن ينطق مسيحي أو يهودي أو أيا كان بشهادة التوحيد إلا من كان فقط مسلما .

إذا فإن العبادات ، كل العبادات ليست إلا دليل إسلامنا ولكنها وإن أكتملت جميعها وتمت في مجملها لن تكون فقط . . . إلا دليل إسلامنا وإعلان كوننا علي ديانة التوحيد . . . . ليس أكثر

ولكن دليل الأيمان أكبر وأشقي وأكثر أبتلاء لأن دليل أيماننا هو الصبر علي الأبتلاء بل أن دليل أيماننا هو قبول الأبتلاء والأعتقاد اليقيني أن أي أبتلاء من العزيز القدير ليس إلا إمتحان ليعلم به العزيز القدير من أمن ومن لم يؤمن حقا . . . . حتي ونحن مسلمين .

نعـم إن الصبر علي الأبتلاء هو قرين الأيمان في الكثير من أيات القرأن ولننظر إلي هذه الأية لنعلـم حقا من هـم المؤمنين عندما يخبرنا عز من قال: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾

الأمر لا يحتاج إلي تفسير أو إجتهاد ، لإنه بيان واضح جلي من العزيز القدير يوضح لنا حقيقة الأيمان التي يغفلها معظـم الناس عندما نتخيل أن دليل الأيمان هو في إقامة الشعائر بينما الأمر لا يحتمل اللبس عندما يخبرنا العزيز القدير أننا إن كنا حقا مؤمنين ، فإنه يجب علينا أن لا نضعف أمام الأبتلاء وأن نتيقن في أن وراء كل أبتلاء حكمة من الخالق لا نتطلب منا إلا قبولها و الصبر عليها .

بل ويزيد العزيز القدير في البيان والتوضيح عندما يخبرنا أن عظمة أيماننا تكمن في أن لا يصيب قلوبنا الحزن من هذا الأبتلاء مهما زادت شدته وإشتدت قسوته علينا ، لأن هذا هو قدر المؤمنين أن يمتحنوا في أيمانهم .

إننا جميعا نعلـم أن الإمتحان يأتينا دائما فيما نعلمه ونرغبه ونسعي أليه ، فهل من الممكن أن نمتحن طالب الأعدادية بمنهج الثانوية . . ؟ ؟

هكذا هو الإمتحان يأتينا فيما نجتهد فيه ونحلم بأمتلاكه ونسخر طاقتنا من أجل تحقيقه . وهكذا هو قدر المؤمنين أن يكون أبتلائهم وإمتحانهم بل وفتنتهم في أيمانهم حتي يعلم الله من هم المؤمنين حقا ومن يتوهمون أن أسلامهم وإقامتهم لشعائر الدين ستمنعهم من أمر اكان مقضيا .

ولكن ما يدعو حقا للتعجب ، عندما جعل العزيز القدير دليل التقوي في كظم الغيظ والعفو عن الإساءة وكأنه سبحانه وتعالي يريد أن يخبرنا أن أسلامنا لله يفتح لنا باب العلاقة مع الله التي لا يعلم صدقها إلا هو فقط ، فإن صدقنا حقا في أسلامنا وصدقت نوايانا مع الله تطهرت قلوبنا من الكبر وتيقنا أن الأمر حقا لله جميعا فقبلنا حكمه ورضينا بقضائه وصبرنا علي أبتلائه وهذا هو عين الأيمان بين الأنسان وربه . أما التقوي فهي مايراه الناس من دلائل أيماننا . . . . . ؟ ؟

نعم إن التقوي التي هي أعلي المراتب في الدين ليست إلا المحصلة لما نحن عليه من أيمان . فمن يعتقد أن إسلامه وإقامته للفرائض تزكيه عند الخلق فهذا هو الرياء بعينه ، ومن ظن أن أيمانه سيقيه الفتن فهذا هو ظلم الإنسان لنفسه ومن لم يمنعه أيمانه من سوء معاملة الناس من حوله حتي وإن أخطأوا في حقه فهذا ليس من المتقين .

فلتعلموا يا عباد الله . . . . أن إسلامكم ليس شرف ، بل تكليف لايزكي أحدكم عن الأخر

ولتعلموا . . . أن أيمانكم لن يكتمل إلا أن مرضيتم بما كتبه الله لكم ولم تهنوا ولم تحزنوا لما أصابكم . . . .

ولتتيقنوا . . . أن تقواكم ليست في صلاتكم ولا زكاتكم ، بل أن التقوي كل التقوي في أن يري الناس منكم دليل تقواكم وأنتم تتقبلون خطأ الآخرين وتعفون عمن أساء أليكم وأنتم علي أشد القناعة أنكم أيضا ستخطئون وستأتون الفاحشة التي سيغفرها لكم الرحمن الرحيم فقط إن أنتم أستغفرتم لذنوبكم ولم تصروا علي مافعلتم . اللهم أجعلنا من عبادك المتقين . وطهر اللهم قلوبنا من الرياء وألهمنا يارحمن الصبر والرضي علي الأبتلاء وأجعلنا من الكاظمين العافين يا أرحم الراحمين ، اللهم أمين

## ١٩- الحمد لله رب العالمين ...!!

إن أسرار القرآن لا تفتح إلا لمن يأذن له صاحب الأذن . . . . فقط . . . ! !

أعتقد أن عظمة القرآن وأية إعجازه كانت ولا زالت في ما يصلنا من تفاسير متجددة لآياته ومعاني جديدة لكلماته بل ودلالات متعددة لحروفه ، وكأن معاني القرآن لا تنتهي ، أو كأن معاني القرآن هي كنبع المياه الذي يظل يفيض علينا بمياه جديدة كلما أستعملناه فلا توقفنا عن إستعماله هو الذي يحفظه من الجفاف ولا إستعمالنا له سيجفف منابع فيضه .

من أجل هذا أزدادت قناعتي بأنه لا يمكن أبدا الجزم بأن هناك تفسير ثابت أوحد للقرآن . فكيف يمكن أن أقتنع بهذا وأنا أري التفاسير لا تنتهي وكلا منها يأتي كل يوم بجديد لم يصل أليه من سبقنا كما أننا لم نهتدي بعد لما سيصل أليه من هم بعدنا . نعم لا يمكن ابدا القول بأن هناك تفسير للقرآن ، ولكنها سلسلة من الرؤي أو الخواطر أو التجليات التي يمنحها العزيز الحكيم لمن أراد من عباده المخلصين، فيريهم بها بعض المعاني التي تتسق مع معطيات كل زمان .

إن معجزة القرآن هي في أن كلماته التي نزلت منذ مايزيد عن ألف وأربعمائة عاما ، لازالت إلي يومنا هذا تفيض علينا بمعاني جديدة تجعلنا نؤمن يوما بعد يوم أن القرآن لا يمكن إلا أن يكون حقا من عند الله ، وذلك عندما يفتح العزيز الحكيم علي من شاء من عباده

بدلالات وإشارات ومعاني تجعل من القرآن هو الكتاب الذي يصلح لكل زمان ، بل أنها تجعل من تفسير القرآن دورة لا نهائية تستمر طالما أستمرت الحياة . . . . . وهذه هي معجزة القرآن . . . . والحمد لله علي ذلك .

اللهم إنفعنا بالقرآن وألهمنا الصواب فيما يصلنا من معاني أياتك وأجعل القرآن لنا ولا تجعله علينا ياعزيز يا حكيم . .

لم تمر الفاتحة هذه المرة كما أعتدت علي قرأتها طوال أعوام حياتي السابقة . لم تكن هذه المرة كما المرات السابقات أبدا ، لأنني في هذه المرة لم أتوقف عند معاني الكلمات بقدر ما توقفت عند الحكمة من إختيار هذه السورة دون غيرها لتكررها سبعة عشر مرة في اليوم علي أقل تقدير . . . . لماذا هذه السورة دون غيرها هي التي فرضت علينا لنعيدها في كل ركعة نركعها بالرغم من أنها من أيات الدعاء . لماذا لم تكن مثلا سورة الإخلاص التي هي سورة التوحيد والتآليه والأقرار بالوحدانية والصمدية للعزيز الحكيم فتكون قرائتنا لها هو إقرار وتذكير يومي بالوحدانية . . . . ؟؟؟

أو لماذا لم تكون أحدي المعوذتين التي تتعوذ بهما من شر الناس ومن شر ما خلق فتكون الفائدة مباشرة . . . . . ؟؟

لماذا كانت الفاتحة هي الفرض الذي بدونه لا تصح صلاة بينما تركت باقي السور والأيات لأختياراتنا وقدرتنا علي الحفظ . . . ؟؟

إن هذا التلازم العجيب بين الصلاة وبين قراءة الفاتحة قد جعل من حفظ الفاتحة بديهة ومسلمة من مسلمات الإسلام التي لا تقبل الجدال أو المناقشة . إن دخلنا في الإسلام فيجب أن نحفظ الفاتحة حتي نستطيع الصلاة أيا كانت جنسيتنا أو لغتنا أو ثقافتنا أو حتي قدرتنا علي الحفظ والإستذكار . فكل المسلمين حول العالم علي أختلاف أجناساهم وألوانهم ولغاتهم يحفظون الفاتحة حتي من لا يصلي منهم . . . حقيقة بديهيه لا تقبل التشكيك . . . ! ! !

شيء غريب جدا عندما نجد أن العزيز القدير لم يجعل هناك آلية تجعلنا نحافظ علي الصلوات إلا بقرارنا وإختيارنا ، بينما نجد أنه قد وضع الآلية التي تجعل الفاتحة في قلب وعقل كل من يشهد أن لا أله إلا الله وكأن حفظ الفاتحة قد تلازمت مع النطق بالشهادة ، أو كأن الصلاة قد تم فرضها لكي نقرأ ونعيد الفاتحة بشكل يومي فيتأكد بذلك حفظنا لأياتها كما يتأكد بذلك أيضا إقرارنا بما تحويه من معاني وتتضمنه من أسرار . . . . سبحان الله . . ! !

الكثيرين تحدثوا عن فضل فاتحة الكتاب ومنهم من قال أنها أم الكتاب ومنهم من سماها السبع المنجيات والبعض الكثير أقروا أنها هي السبع المثاني التي تحدث عنها المولي عز وجل عندما قال في سورة الحجر : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ** ﴾ .

الكل تحدث وأفاض عن فضل الفاتحة وتفردها بين جميع سور القرآن ، ولكن، عندما نصل إلي هذه المسلمة البديهية بأن فاتحة الكتاب قد تم حفظها من قبل كل من شهد بأن لا أله إلا الله حتي ولو لم يكن من مقيمي الصلاة ، فإننا لا بد أن نسأل أنفسنا ألف مرة . . . . لماذا الفاتحة دون غيرها . . . . ؟ ؟

توقفت بادئ ذي بدء عند أية البداية وأنا أتمعن في البداية التي يستفتح بها الرحمن الرحيم ويستهل بها كتابه بقوله ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله رب العالمين . . . هذه هي البداية . . . هذا هو إستهلال كتاب رب العالمين . . . إلي العالمين . . . . ! ! !

لماذا بدأ الرحمن الرحيم بالحمد . . . ؟ ؟

لماذا إختار العزيز القدير الحمد ليبدأ به رسالته وخطابه إلي العالمين . . . . . ؟ ؟ ؟

بل ، لماذا كان الحمد لله ولم يكن الشكر لله . . . ؟ ؟

هل هناك فرق بين الحمد والشكر يجعل من الحمد لله خير أستهلال لكتاب الله . . . ؟ ؟ ؟

عندما قرأت في أيات الشكر الكثيرة في القرآن وجدت أن كل أيات الشكر ترتبط بفعل الله وعطائه بمعني أنه كلما ذكر الشكر في القرآن كان هناك حدث أو

فعل أو عطية ملموسة تجعل من الشكر هو مقابل منحة ألهية يمنحها لعباده. أنظروا ألي هذه الأيات وتمعنوا في معناها حتي يصلكم ماوصلني من هذا الفتح الرباني.

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾

أتينا لقمان الحكمة . . . . فيكون الأمر بالشكر لأنه قد أتاه من الله فضل ونعمة وخيرا كثيرا عندما أجتباه الله سبحانه وتعالي ليؤتيه الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . إذا الشكر هنا هو قرين النعمة التي أعطاها الله لعبده لقمان. والأمر نفسه عندما كان الأمر بأن أشكر لي ولوالديك بعد أن حملته أمه وفصاله فيكون الشكر قرين نعمة وجود الوالدين وعطائهما للولد دون قيد أو شرط.

في سورة أبراهيم يقول العزيز القدير ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وبالنظر إلي سياق الآيات نعلم أن هذه الأية كانت مخاطبة لبني أسرائيل عندما كان سيدنا موسي يذكرهم بأنعم الله عليهم وكيف نجاهم من آل فرعون وعذابهم ثم كانت البشارة بزيادة النعمة في حال الشكر أو بالعذاب الشديد في حال الجحود.

نعم . . إن الشكر هو قرين النعم التي يتغمدنا بها العزيز القدير ، الشكر هو الأقرار بالنعمة وبفضل المُنعِم علينا . والعجيب في الأمر أن الرحمن الرحيم لم يجعل الشكر سبب في بقاء النعمة ولكنه جعل من الشكر سبب لزيادتها . . . . . سبحان الله .

ما هذه الرحمة . . . . ماهذا الفضل . . . . . سبحانك يا الله . . . سبحانك يا مُنعِم . . . سبحانك يا حي يا قيوم .

إن حال رد العطاء لايخرج عن ثلاثة أبدا ، إما الشكر أو عدم الشكر أو الجحود وبين الجحود وعدم الشكر فرق كثير .

فعندما يتفضل علينا أحد بشئ من العطاء ثم ننكر فضله ونجحده ولا ننسبه لمن أعطي ، فإن عذاب المعطي في هذه الحالة يتناسب مع قدر المعطي وليس قدرتنا . لهذا يكون العذاب شديد إن نحن كفرنا بنعمة الخالق العزيز القدير وجحدناها .

أما إن نحن لم نشكر ولم نجحد وكنا بين هذا وذاك كالأنعام ، فإن النعمة لا تزول ولكن الفضل لا يقع . لأن الفضل ليس في النعمة التي يعطيها العزيز القدير لكل الناس من أمن منهم ومن كفر ، الفضل كل الفضل لمن يزيده العزيز القدير من فضله أن هو شكر .

الله . . . . الله . . . . . الله .

فإن كان هذا هو الشكر ، فما هو الفرق بين الشكر والحمد . . . . ؟ ؟

أعتقد أن الفرق الآن قد أتضح جليا ، لأن الشكر يكون لنعمة أو عطية تصلنا من الخالق ونشعر بأثرها في حياتنا .

أما الحمد فيكون فقط . . . . للتيقن من وجود الصفات التي تستحق الحمد . . . . ؟ ؟

نعم . . . هذه هي سنة الله في خلقه ، فنحن نشكر من يقدم لنا معروفا أو مساعدة أو يتفضل علينا بعطيه فيستحق أن نشكره علي ما قدمه لنا ، ولكننا عندما نزكي شخص فإننا نزكيه لصفته التي تتيقن منها ، فنحن نزكي أي شخص لكرمه أو لأخلاقه أو لحكمته . . . . . فالحمد يكون للتيقن من صفة المحمود أما الشكر فيكون لعطائه .

وبمعني أوضح ، فإن الشكر قرين العطاء أما الحمد فهو قرين اليقين من تمتع المعطي بصفة العطاء حتي ولو لم ينالنا عطائه .

لهذا أستهل العزيز الحكيم كتابه إلي العالمين بالحمد لله بل وجعل من الحمد فرضا علي كل مسلم نقربه خمس مرات في اليوم طمعا في صفات كماله ، ولم يجعله شكرا حتي لا يخرجنا ضعفنا الأنساني من رحمة الله إن نحن لم ندرك نعمة الله علينا أو جزعنا من أبتلاء الله أو أصابنا الغرور والكبر فصدقنا أنما أوتيناه علي علم عندنا فلم نكن من الشاكرين . ولكن يبقي الأمل في تصديقنا وتيقنا من الله هو الرحمن الرحيم الذي سيغفر لنا زلاتنا حتي ولو لم نشكر نعمته من ضعف فينا ، ولكن طمعنا في رحمته قد تكون هي المنجية إن نحن حمدنا الله علي أن هدانا إلي الأيمان به لأن النعمة الكبرى هي في

أننا من المؤمنين بالله أما باقي الأنعم فيستوي فيها المؤمن والكافر لأن الله عدل في عطائه لكل خلقه ولكنه الكريم في فضله علي عباده الذين أمنوا .

نعم كان هذا الأستهلال مقصود حتي يرحمنا الرحمن الرحيم من توعد أبليس اللعين لنا عندما أنظره العلي القدير ليوم يبعثون ، فماكان من أبليس عليه لعنة الله إلا أن توعد بني أدم بقوله : ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾

فماذا كان رد الرحمن علي تكبر هذا الملعون . . . . إلا عبادي المخلصين . . ! !

لقد تعهد الرحمن بأن لايجعل لأبليس علينا سلطان كما تعهد بأنه لن يضل أبدا عباد الله المُخلَصين . . . الذين سيخلصهم الرحمن برحمته من محاولات أبليس . وقد أعطانا الرحمن أية الخلاص ونحن نكررها في اليوم سبعة عشر مرة ولا يبقي إلا أن نصدق فيها ونحن نقرأها فيكون لنا الخلاص إن نحن فعلا قصدنا مانقوله . . . أن الحمد لله رب العالمين .

نعم . . الحمد لله الذي لم يتركنا لنلاقي وعيد هذا الأبليس وهو يعلم ما بنا من ضعف . ! !

نعم . . الحمد لله لأن لنا رب له من الصفات ما يجعلنا نطمئن إلي أقدارنا ونأمن مصائرنا . ! !

نعم الحمد لله الذي أستفتح خطابه لنا في كتابه العزيز بأحب صفاته أليه ألا وهي . . . . الرحمن الرحيم .

نعـم الحمد لله الذي علمنا صفاته فأطمأنت قلوبنا لوجوده ـفي حياتنا وليس لعطاياه . . .

الله أكبر كبيرا . .و الحمد لله كثيرا وسبحان الله وبحمده بكـرة وأصيلا . . . .

الحمد لله . . . . الحمد لله . . . . الحمد لله . . . أنه هو الرحمن الرحيـم .

## ٢٠- ومن يشكر .... فإنما يشكر لنفسه ...!!

من لم يحمد . . . . لم يعرف حلاوة النعمة . . . ! !

إننا للأسف لا ندرك قيمة النعمة التي بين أيدينا إلا عندما نفقدها أو عندما نري أثر فقدان النعمة علي من حولنا ، وهذا هو قمة الإبتلاء الذي نضع فيه أنفسنا بأختيارنا ، لأن ألم معاناة الفقد تنسينا الإحساس بحلاوة التمتع .

كلنا نتمتع بنعمة البصر، ولكن من منا يحمد هذه النعمة كل يوم عن قناعة لمجرد أنه يتمتع بنعمة البصر التي أعطاه أياها الكريم دون طلب منه أو رجاء . من منا أوجب علي نفسه حمد نعمة البصر مثلا دون أن يري من فقد هذه النعمة وهو يتحسس طريقه ليتذكر أن الحمد لله الذي عافانا مما أبتلي به الأخرين . . . ؟ ؟

إن سر الحمد لله لا يكمن في وجوب الشكر للرزاق الكريم علي ما تفضل به علينا من نعم لا تعد ولا تحصي لأنه سبحانه وتعالي في غني عن شكرنا ، بل أنه في غني عن أيماننا وكفرنا عندما أخبرنا عز من قال بذلك في سورة النمل ﴿ **وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ** ﴾

إن سر الحمد لله يكمن في إحساسنا بحلاوة النعم ، وفي شعورنا بأننا ممن تفضل عليهم صاحب الفضل بعطاياه .

نعم إن سر الحمد لله هو في إقرارنا بأننا نحن من نسل أدم الذي فضله الله علي خلقه عندما أنعم عليه بنعمه كانت هي السبب في أن يسجد له الملائكة وجلسائهم بأمر صاحب الأمر. فإن لم نقر بنعمة الله علينا أولا وأخيرا ولم نقول الحمد لله كثيرا علي نعمة وقت تمتعنا بها وقبل أن نمتحن فيها ، فما الذي يفرقنا عن الأنعام . . . ؟ ؟ ؟

سبحان الله ، هل لا بد أن يذهب الله بنعمته التي أنعم بها علينا لكي نتذكر فضل الله علينا . . . ؟ ؟

إن البعض الكثير من الناس يتخيلون أن العزيز القدير يعاملنا بندية ، وهم يتصورون أن ديمومة النعمة التي أنعم بها علينا مرهونة بشكرنا هذه النعم وكأن الغني الكريم يقايضنا علي نعمه علينا بشكرنا وهو الغني عن العالمين.

لقد جعل الرحمن الرحيم الحمد في حد ذاته منحة خالصة لبني أدم دون سائر الخلق ليكون الحمد هو في حد ذاته نعمة تستحق الحمد وعطية إلهية تستوجب الشكر. فلو كان الإستغفار هو إقرار بالعبودية لمالك الملك نلجأ له وقت ضعفنا ، فإن الحمد هو إقرار بالربوبية لرب العالمين لا يلجأ أليه إلا من تيقن أن أمره كله لله.

إنه هذا الضعف الإنساني الذي يجعلنا لا نتذكر الخالق الكريم إلا وقت الشدة وكأن كل ما بنا من نعم هي حق واجب لنا لا يستوجب حتي الشكر وقت تمتعنا بهذه النعم.

إنه هذا الضعف الإنساني الذي ينسنا ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾.

أن كل ما بنا من نعم لا يستوجب أكثر من أن نعود ألسنتنا علي قول الحمد لله . . . . فقط قول الحمد لله وقت العطاء ، حتي نعتاد علي أن نذكر أنفسنا دوما بنعم الله علينا، فتطمئن قلوبنا أن لنا رب كريم رحيم رزاق عليم ليس في حاجة إلي شكرنا حتي تستمر نعمه علينا ، بل أن شكرنا لأنعمه علينا . . . تزيدها ، لأن من شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم . . . . . سبحان الله.

نعم . . . . الحمد لله . . . . هي نعمة في حد ذاتها تستحق الحمد . . . . . ! ! !

عندما يشتد بكم البلاء ، أكثروا من الحمد لله حتي تثبت نفوسكم وتطمئن قلوبكم بأن من كان ربه هو الرحمن الرحيم فلا يجزع ولا يخاف ولا يقلق لأن الكريم إذا أعطي لا يرد عطائه أبدا وأنه مهما أشتد البلاء فإن هناك رب رحيم أعطي الكثير دون طلب منا ، فلماقد يمنع عنا عطائه وقت طلبنا وإحتياجنا وهو من لم يطلب منا مقابل لكل عطاياه ما طلبنا منها وما لم نطلب. حتي الشكر إن شكرنا فهو ليس إلا شكر . . . . . لأنفسنا .

نعم . . . إن من لم يحمد . . . لم يعرف حلاوة النعمة ، فلا تنتظروا أن تمتحنوا في نعمكم حتي تحمدوا ، بل أجعلوا الحمد لله حق واجب وورد ملزم ، حتي يزيدكم الكريم من كرمه ، وأي نعمة ترجونها أكبر من نعمة الإطمئنان إلي أن قدركم بيد رحمن رحيم وأن ديمومة النعم التي بين يديكم هي بيد غني كريم .

بل، أي نعمة ترجونها أكبر من أن تكون الحمد لله هي النعمة التي تزدادون بها من نعم المعطي الوهاب. فمن أراد أن يصبر وقت البلاء ، وجب عليه أن يحمد . . . . . وقت العطاء

الحمد لله كثيرا الذي أنعم علينا بنعمة . . . . . الحمد لله.

## ١٢- ومن يتق الله ..... يجعل له مخرجا ...!!

عجبا لأمر إبن أدم ، لديه الحل السحري لكل مشاكله ولكنه لا يزال يعاند ويكابر وهو يصدق في رجاحة عقله وبلاغة حجته ، تاركا وعد أصدق من وعد وكأن أبن أدم يستمتع بعذاب نفسه . . . ! !

تدعي الضعف يا أبن أدم وأنت تبرر عصيانك بتسلط شهوتك علي نفسك وتنسي وعد الله لك بأن يخرجك من كل ضيق ويجعل لك من أمرك يسرا ، ثم تأتي لتشكي ظلم الناس وصعوبة الحياة وأكل الحقوق وأنت في غني عن كل ذلك إن أنت فقط قرأت في كتاب الله وركنت إلي وعد الحق الذي ليس بعده حق . . . . سبحان الله . . . ! ! !

هل تدبرتم يوما في سورة الطلاق . . . . . ! !

أدعوكم لقراءة هذه السورة التي أظن أنها بعض من مفاتيح الفرج التي نحن عنها غافلين لأننا لم نتدبر هذه الوعود الآلهية ، فمرت علينا كأننا لم نقرأها ولم نفهم معانيها فلم نعد نستحق أن تتحقق لنا هذه الوعود طالما صرنا عنها من الغافلين . يقول عز من قال في سورة الطلاق:

**﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾**

من يتق الله . . يجعل له مخرجا . . هل فهمتم الأية ، هل وصلكم مدلول هذه الجملة . . . يجعل له مخرجا . . . ؟ ؟

أنا هنا لا أتحدث عن تفسير هذه الأيات التي أجمع عليها كل علماء التفاسير ، ولكنني أود أن أخذكم إلي وقع هذه الكلمات الصريحة المباشرة التي نحن عنها غافلون للأسف . . . . يجعل له مخرجا . . . ؟ ؟

هل تفكرتم يوما في معني مخرجا . . . ؟ ؟

المخرج هو المكان الذي من خلاله ننتقل من الداخل إلي الخارج ، فإن كنت في داخل البيت ، فعن طريق المخرج الذي قد يكون باب أو شباك ستجد طريقك إلي خارج البيت ، وبالمثل إن كنت تسير علي طريق ما فإنك إن أخذت منحني ما ستجد نفسك وقد خرجت من هذا الطريق إلي طريق جديد .

والملاحظ في هذا الأمر أن المخرج دائما يكون أصغر حجما من الكيان الذي نخرج منه ولو نظرتم إلي حجم الباب مقارنة بحجم البيت لعلمتم الفرق ، كما يمكنكم ملاحظة نفس الفارق بين مخرج الطريق والطريق نفسه الذي قد يستمر بنا إلي كيلومترات طويلة في حارات عدة ، حتي تجد مخرجا لا يتعدي طوله بضعة أمتار وبعرض حارة أو أثنين علي الأكثر ، قبل أن تتحول إلي الطريق الآخر الذي قد يطول إلي كيلومترات أخري .

ولكن في كل الأحوال ، أنت لن تستطيع أن تصل إلي هذا المخرج الأصغر حجما إلا إن قطعت الطريق كله . وإن كان سيمكنك أيضا الخروج السريع المتعجل إن أنت قررت أن تسير عكس الإتجاه وأن تخالف قواعد ونظم السير إن أنت فقدت صبرك ولم تعد تستطيع أن تستكمل السير في الطريق الصحيح حسب النظم الموضوعه لك سلفا .

إذا ، فالمخرج لن تجده أبدا بنفس القدر من السعة التي كانت متاحة لك علي الطريق الذي تود الخروج منه ، ولكن فور أن تتخذ من هذا المخرج سبيلا ،ستجد نفسك في طريق أخر أكثر سعة من المخرج ذاته . وهذا هو بيت القصيد الذي يجب أن نعيه جميعا ، أن المخرج الذي وعدنا به الحق ليس إلا منحني التحول في طريقنا الذي يخرج بنا من العسر إلي اليسر إن نحن إلتزمنا بالقواعد الآلهية التي وضعها العزيز القدير لنا من الصبر والرضي والتقوي . فقط تقوي الله هي التي ستزرع في قلوبنا الصبر علي طريق العسر حتي نجد هذا المخرج .

ولكن الجميل في هذا الوعد هو في . . . . . يجعل . . . ! !

فمن يتق الله ، لن يدله الحق علي المخرج ، أو يرشده إليه ، أو يعلمه بمكان هذا المخرج ويتركه يحاول أيجاده ، بل أن الوعد الآلهي أجمل وأعمق وأكثر أملا وبشري لمن أتقي . . . يجعل له مخرجا . . . . . نعم يجعله ، يوجده ، يظهره له وقتما يشاء صاحب الأمر بعد أن نمر بالأمتحان وتثبت إلتزامنا بالقاعدة التي وضعها لنا الخالق ، وذلك دون الحاجة إلي بشر يدلك لهذا المخرج الذي سيجعله لك الرزاق . . . . جعلا .

ويكمن الامتحان في أنه سيمر علينا في طريقنا مخارج كثيرة غير شرعية ، غير نظامية ، غير ممهدة ، وجميعها قد تصل بنا إلي طريق اليسر حسبما سيقنعنا بذلك عقلنا القاصر أو الناس من حولنا ، ولكن ألم يكن هذا هو الأختبار الذي جعله العزيز الحكيم هو دليل أيمان أدم يوم أن طلب منه أن لا يحتكم إلي عقله إن تعارض فكره مع أمر الله . . . ؟ ؟ ؟

ألم يكن هذا هو الأختبار الذي أخرج أدم من الجنة عندما صدق عقله وأختار المخرج الذي تهيأ له – بفعل وسوسة أبليس – أنه هو المخرج الصحيح الذي سيخرج به إلي طريق الخلود ، ناسيا أمر الله بأن يصبر ويرضي بما حكم به العزيز القدير .

إن هذا هو التحدي الذي فرضه علينا العزيز الحكيم ، عندما أعطانا نعمة العقل لنتخير من أمرنا رشدا . ولكن جميعنا للأسف يركن إلي عقله ويحتكم إلي قناعته ، فلم يعد يستطيع صبرا علي أوامر صاحب الأمر ليختار كل منا المخرج الذي إقتنع به أن هذا هو فقط السبيل مهما تعارض مع أحكام الله متعللا بعدم قدرته علي إستكمال الطريق ، أو بعوز الحاجة ، أو بضيق ذات اليد ، أو بأي من هذه الأسباب التي تجعلنا جميعا نختار أول أسهل مخرج يقابلنا مهما حامت حوله الشبهات لنخرج من طريق العسر بعد أن فقدنا قدرتنا علي إنتظار تحقق وعد الحق ليجعل لنا مخرجا والذي قد لا يكون هو المخرج الذي نريده، ولكنه بالتأكيد المخرج الذي سيسعدنا في الحياة الدنيا وفي الأخرة لأنه المخرج الذي أختاره لنا الرزاق جزاء وثوابا لصبرنا علي أمر الله

ولأنه هو الرزاق الواسع ، فقد عظم لنا المكافأة التي نحن لا نزلنا عنها غافلين عندما أخبرنا أنه سيرزقنا من حيث لا نحتسب . ماذا تريدون أكثر من ذلك ، سيوجد لنا المخرج ويرزقنا من حيث لا يخطر لنا علي بال لأن المعطي أذا أعطي أدهشنا بعطائه .

وتستمر الأيات ليستمر معها وعد الله لمن أتقي وكأن العزيز الحكيم يعلم تمام العلم أن الناس سيكونوا عن هذا الوعد غافلين ، فيعود ويؤكد الوعد في الأية التالية عندما يخبرنا عز من قال ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾

ماذا تريد يا أبن أدم بعد كل هذه الوعود ، يجعل لكم مخرجا ، ثم يجعل لكم من أمركم يسرا . . لا إله إلا الله ، لا جدال أن الإنسان حقا . . ظلوما . . جهولا . . ! !

ويعود العزيز القدير في نفس السورة وفي الأية التالية ليزيد من عطائه الذي بدأ عطاء ماديا بأن يجعل لمن أتقي مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ثم ترقي بعد ذلك ليصبح عطاء معنويا يريح النفس ويهدئ من روعها عندما نعلم أنه بعد أن يجعل لنا مخرجا سيجعل لنا من أمرنا يسرا ينقضي به العسر الذي مررنا به ، ليكون صبرنا وأصرارنا علي تقوي الله يهو السبيل لكي يتم الله علينا وعده فيغفر لنا ويرحمنا ويكفر عنا سيئاتنا بل ويعظم أيضا أجرنا تصديقا لقوله ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾.

إلي متي سنظل غافلين عن وعود الرحمن الرحيم ونحن نركض في الدنيا ركض الوحوش في البرية ناسيين أنه لن يكتب لنا إلا ماقد كتب لنا ، وأن كل ماعلينا فعله هو في أن نتقي الله في عملنا ، في أزواجنا ، في أهلينا ، في أولادنا ، في أوطاننا .

أن نتقي الله في جل تعاملاتنا مع البشر وأن لا يكون ظلم الناس لنا سببا لكي نجد لأنفسنا مخرجا لا يرضي الله ، وأن لا تكون رغبتنا في أن ننهي أمتحاننا بأيدينا تحت وطأة تعبنا أو عدم قدرتنا أو عدم تحملنا ، سبب لكي نأتي أمرا لا يرضاه منا الله لأنه ذكرها صريحة ومباشرة في نفس ذات السورة عندما أخبرنا بأنه هو الرحيم الذي يعلم قدرتنا وأنه لن يأتينا إلا علي قدر إستطاعتنا عندما قال: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا** ﴾.

سلموا أمركم لله وأعلموا أن تقوي الله هي المخرج الذي سيخرج بكم من العسر إلي اليسر مهما صورت لكم عقولكم أنكم تعبتم .

إتقوا الله وأصبروا علي مجريات حياتكم وقابلوا إبتلاءتكم بالرضي والصبر ، فالقدر مقدور وإن عنتم ، ومن لم يرضي بإختياره . . . شقي وهلك بأختياره

اللهم أجعلنا من المتقيين وأرزقنا الرضي بقضائك وأكتبنا عندك من الصابرين الحامدين الشاكرين . . . . اللهم أمين .

## ٢٢- ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ ... بقلب سليم ...!!

في قراءة في سورة الشعراء توقفتني أية دعاء خليل الرحمن وهو يتعوذ بالله من خزي يوم القيامة. والعجيب في الأمر أن معظم الأيات التي تتحدث عن سيدنا أبراهيم في القرآن الكريم كانت تحتوي علي دعاء له ولأبيه ولبنيه و لذريته . . . سبحان الله . . . في كل السور التي كانت تقص علينا سيرة سيدنا أبراهيم ، كان هناك أيات دعاء لا نلاحظ مثلها لكافة الرسل الذين تم ذكرهم في القرآن بهذه الكثافة وكأن الدعاء كان هو علامة أيمان سيدنا أبراهيم ، كما كان الصبر علامة أيمان أيوب ، وكان التسبيح هو علامة أيمان يونس .

هل تفكرتم في ذلك من قبل . . هل لاحظتم أن سيدنا أبراهيم هو الأكثر دعاء في سور القرآن من الرسل والأنبياء . أو دعوني أقول ، هل لاحظتم أن القرآن حدثنا عن دعاء سيدنا أبراهيم في كل السور التي تم ذكر سيرته فيها كما لم يحدثنا عن دعاء باقي الرسل والأنبياء حتي رسولنا وحبيبنا محمد صلي الله عليه وسلم . أعتقد أن الأمر وراءه سر ويحتاج لدراسة عميقة . . . . ! !

ولكن ما أستوقفني في سورة الشعراء هو هذه الأية التي وجدتها تتحدث عن أمر بديهي ولكن أكثرنا عنه من الغافلين:

﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ * يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾

هل كانت هذه هي مجرد دعوة دعاها خليل الرحمن أم أنها كانت منهج يرشدنا إليه الرحمن الرحيم علي لسان رسوله وخليله ، حتي نعلم صحيح أمرنا قبل أن ينتهي بنا الطريق وينقطع بنا العمل . . . ؟ ؟

يوم لا ينفع مال ولا بنون ، يوم لن ينفعنا كل ما كسبناه من أموال وخسرنا بسببها أناسا فظلمنا بما أكتسبناه أنفسنا قبل أن نظلم الآخرين . يوم لن ينفعنا أولادنا الذين جاهدنا وأجتهدنا من أجل أسعادهم لنجد البعض وهو يحرم علي نفسه ما أحله الله ليوفر لأولاده العيش الكريم بينما نجد البعض الكثير يستحل ما حرمه الله حتي يوفر لأولاده الحياة التي يحلم هو بها لهم . ولكن كل هذا للأسف . . . لن ينفعنا يوم موقف عظيم ولن ينجينا من الخزي يوم يبعثون .

نعم لن ينفعنا أموالنا ولا أولادنا يوم يبعثون . . . . إلا من أتي الله بقلب سليم . . . . ! ! !

فإن كان الخالق العظيم قد فضل أدم وبنيه علي كافة المخلوقات بنعمة العقل ، فلماذا جعل النجاة من خزي الآخرة مقرونا بالقلب السليم ، ولم يجعله مقرونا بالعقل الراجح . . ؟ ؟

هل أغفل سيدنا أبراهيم هذه الحقيقة عند دعائه ، أم أن الرحمن الرحيم قد ألهمه هذه الحقيقة كما ألهمه الثبات عند الإمتحان بذبح أبنه البكر وقبلها عند الإمتحان بأن يلقي في

النار ، ليكون هذا الدعاء هو إعلان لمنهج الخلاص من خزي الأخرة لمن أراد أن يستقيم ويسير علي النهج الألهي . . . ؟ ؟

عندما أعطانا الله نعمة العقل ، فإنه وبرحمة منه لم يجعل العقل هو ميزان أعمالنا ، بل جعله فقط محرك نستطيع من خلاله تنفيذ مانريده . جعله فقط أداة نستخدمها لنفعل به مانقتنع به أنفسنا أنه صواب . عندما أعطانا العزيز القدير العقل ، فإنه قد جعله لنا فقط كالمصباح الذي ينير لنا لنري ماحولنا وعلي قدر مانري يكون حسابنا . لهذا رفع عن الطفل حتي يبلغ مقام الرجولة لأن عقله لم يبلغ حد الإكتمال ، كما رفع عن المجنون لأن عقله قد ذهب فلم يعد يري مايراه العاقل البالغ . ولهذا كانت رحمة الرحمن الرحيم أن من ذهب عقله أو لم يكتمل نضوجه لا يسأل عن أفعاله مهما بدا منها من قبح ، لأن الرحمن الرحيم قد جعل حسابنا وفق ما وقر في قلوبنا وليس بما أملته علينا عقولنا .

عندما سأل الحبيب عن الأيمان فأنه قد أخبرنا أنه ما وقر في القلب وصدقه العمل . إذا هو القلب . . . . . ! !

وعندما قام أسامة بن زيد بقتل مشرك بعد أن نطق بالشهادة قبل أن يقتله ظنا منه أنه ماقالها إلا لينجو من القتل ، وبخه رسول الله صلي الله عليه وسلم بما يفسر لنا كل هذه المعضلة عندما قال له ثلاثا . . . هلا شققت عن قلبه . . . . إذا هو القلب . . . ! !

نعم إنه هو القلب الذي يخبر عن حقيقة أعمالنا ، حتي هذا المشرك الذي نطق بالشهادة حتي لا يقتله الحب بن الحب ، لم يحكم عليه من لا ينطق عن الهوي بظاهر قوله وترك الحكم لمن هو مطلع علي الأفئدة .

نعم أنه القلب الذي قد وكل إليه رب العالمين مهمة تقويم العقل وإرجاعه إلي الفطرة السليمة التي جبلنا عليها ، ولكن لأن كل منا لا يقنع إلا بعقله ولا يري الرجاحة إلا في عقله هو فقط ، فإننا جميعا نستسلم في لحظات الضعف الإنساني لما تمليه علينا عقولنا لنقع جميعا في الشرك الأصغر الذي يجعلنا نهتم لما يراه الناس من أفعالنا قبل أن نهتم لما يعلمه علام الغيوب مما وقر في قلوبنا .

نعم إنه القلب الذي يري حقيقة باطن أعمالنا التي يزين لنا ظاهرها . . . عقلنا . . . ! !

نعم إنه القلب الذي يستطيع أن ينجينا من الشرك الأصغر ، لأننا جميعا ولا أستثني منا أحدا نشرك بالله كل يوم عندما نخاف حكم الناس علي أفعالنا ، أو عندما نظن أن أرزاقنا بيد المخلوق ، أو عندما نمتنع عن محرم مخافة إتهامنا بالكفر ، أو عندما نأتي طاعة رغبة منا لأن يشهد لنا الناس من حولنا بالأيمان .

نعم إنه القلب الذي يجعل من أعمالنا مهما حكم الناس عليها بالصلاح . . . . باطلة . . . ! !

نعـم إنه القلب الذي يجعل من أعمالنا مهما رأها الناس سيئة . . . . . صالحة . . . ! !

نعـم إنه هو القلب الذي خصه الرحمن الرحيـم بالفطرة السليمة منذ خلقنا ، ولهذا أمرنا الله أن نحافظ علي سلامة هذا القلب لأن صلاح القلب يضمن لنا النجاة مهما ظهر من أعمالنا فسادا ، وفساد القلب يهوي بنا إلي الهاوية مهما رأي الناس من أعمالنا صلاحا .

إلا من أتي الله بقلب سليـم . . .إلا من أستطاع أن يحافظ علي سلامة قلبه وطهارته بالرغـم من كل الإبتلاءات التي سيتعرض لها والتي تعصف بأشد الناس أيمانا ، إلا أننا مطالبين بأن نحافظ علي سلامة عقولنا وطهارتها بأن نجعل الله قبلتنا . . . قبل أن تكون الكعبة هي القبلة . جميعنا مطالبون بأن نعود كل يوم إلي الله مهما أخطأنا ومن منا لم ولن يخطئ . . . ! !

جميعنا مطالبون بأن لا نستسلـم إلي عقولنا لأن العقل يري ولكنه لا يحكـم . نعـم إن العقل هو من يري ويتبصر ويحلل ويتدبر ليرسـم لنا الطريق ، ولكن القلب هو من يستبصر بما وقر فيه من أيات الأيمان ليخبرنا بما فيه صلاحنا حتي وإن رأي الناس من حولنا غير ذلك .

لا تجعلوا الناس من حولكـم قبلتكـم ، لا تجعلوا دينكـم هو ميزان أعمالكـم ، بل أجعلوا نواياكـم هي ميزان يقينكـم بالله ودليل أيمانكـم لأننا جميعا سنأتي العزيز الحكيـم يوم القيامة فردا ولن يكون معنا من الناس أحد يشهد لنا أو علينا . . . إلا من أتي الله . . . . بقلب سليـم .

حكموا قلوبكم في إختياراتكم لأن قلوبكم هي التي تحمل فطرتكم التي خلقتم بها ، فإن حكمتوها في أفعالكم كانت لكم الدليل إلي طريق الخلاص .

حكموا قلوبكم في معاملاتكم مع خالقكم لأن قلوبكم هي معين الحب بداخلكم الذي به ستعلمون الفرق بين عبادة الخالق حبا في ذاته وبين عبادته طمعا في جنته أو خوفا من ناره .

لا تعبدوه طمعا في جنته ، فلن يدخل أحدكم الجنة بعمله . . . إلا أن يتغمدنا الرحمن برحمته .

ولا تعبدوه خوفا من ناره . . . . فإن منكم إلا واردها . . . . إلا أن يرحمنا الرحمن الرحيم . . . . . برحمته .

ولكن أعبدوه حبا في ذاته . . . فمن أحبه الرحمن . . . . وجبت له . . . رحمته .

أجعلوه هو المحبوب ، يكن لكم محبا ، فإن كنتم ممن أحبهم الله ، فهل ستخشون نارا أو تطمعون في جنة . . نعم إنه القلب الذي يصلنا بالله ويربنا من أمرنا خيرا إن نحن فقط حافظنا علي سلامته وجعلنا من الحب محرابا نتعبد فيه مالك الملك .

إعلموا أن الثواب والعقاب هما قرائن أعمالكم ، فلاتجعلوا من أنفسكم أندادا للجبار فتصبحوا علي إختياراتكم من النادمين. و أعلموا أن الرحمة قرينة المحبة ، فأجعلوا طلبكم علي قدر المعطي لا علي قدركم فتصبحوا علي تسليمكم من السالمين.

من العدم أتينا . . . وألي العدم نحن ذاهبون . . . . فحلقوا في كيان العدم . . . فتصبحوا علي تجردكم من المخلصين

اللهم أرزقنا قلب عامرا بحبك شاكرا لنعمك ذاكرا لفضلك لا يخشي فيك أحدا ولا يخاف بك أحدا ولا يقصد غيرك أحدا .

اللهم أمين يارب العالمين . . . .

## ٣٢- فإذا مس الإنسان ضر .. دعانا .....!!

لا إله إلا أنت . . . سبحانك . . . . إني كنت من الظالمين .

نحن نظلم أنفسنا عندما نصدق في أنفسنا وفي أن العزيز القدير يصرف أمور حياتنا كردة فعل لأعمالنا ، فإن صلحت أعمالنا كنا أهل لأن ينعم علينا صاحب النعم بفضله ، وإن أخطأنا وعصينا حق علينا القول وكنا عرضه للأبتلاء لأننا أغضبنا العزيز الحكيم فيعذبنا بأعمالنا بالرغم من أنه قد أخبرنا وأكد لنا مرارا . . . أن رحمته سبقت غضبه . . . ! !

لا إله إلا أنت . . . سبحانك . . . . إني كنت من الظالمين .

نعم ، نحن نظلم أنفسنا عندما نعامل ذي الجلال والأكرام بندية ونحن نتخيل أنه ينتظر منا أن نخطئ ليبتلينا ، أو أنه ينتظر منا أن نؤمن ونعبد ونقيم الشعائر ونواظب علي الطاعات حتي يغدق علينا بنعمه ويرفع عنا البلاء وكأننا نسينا أنه هو الغني عن عباده الذي أوجب عطائه لجميع خلقه ، الذي جعل من رحمته سبيلا ومن مغفرته عهدا إن نحن فقط عدنا وتوبنا وأستغفرنا تصديقا لقوله . . . ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** ﴾.

لماذ نحاول دائما أن نوجد المنطق الإنساني الذي يفسر لنا الأحكام الآلهية ، بالرغم من أن مجرد قبولنا لهذه الأحكام ، هو مايفسر كونها . . . ألهية لاتحتاج إلي تفسير .

لماذا يصعب علينا أن نفهم أن مجرد تجردنا من منطقنا البشري عند قبولنا للأحكام الآلهية هو دليل أسلامنا و علامة تسليمنا وأن دليل أيماننا هو في صبرنا . بل و يزيد الله المحسنين الذين يرتقون مراتب الحمد فيبرأون من حولهم وقوتهم إلي حول الله وقوته ، وهؤلاء ليسوا فقط من يسلمون ويستسلمون ويقبلون ويصبرون علي البلاء ، بل أن هؤلاء هم من يحمدون عند العطاء .

لماذا يستبد بنا العقل الأنساني ليجعلنا نرفض الحقيقة التي نعلمها جميعا جيدا من أن الدنيا ليست إلا دار إبتلاء وأن أشد الناس أبتلاء هم الرسل والأنبياء ثم الصالحين كلا حسب درجة تأيمانه ودليل تقواه .

لماذا نتخيل أن أيماننا هو ما يرفع عنا البلاء ، وأن خطايانا هي ما تجلب علينا الأبتلاء بالرغم من أننا لو تفكرنا قليلا لعلمنا . . . . . أن الأبتلاء نعمة . . . . . وأن النعمة هي البلاء . . . . ! !

لا إله إلا أنت . . . سبحانك . . . . إني كنت من الظالمين .

في سورة الزمر يقول عز من قال : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

إذا مس الأنسان – أي أنسان مؤمن كان أو كافر – الضر ، لم يجد سبيلا إلا أن يدعو حتي يرفع عنه . هذه هي الطبيعة البشرية التي جبلنا جميعا عليها عندما يشتد بنا البلاء ونجد أنفسنا وقد فقدنا الحيلة ولم نعد نستطيع أن تتدبر أمرنا ، فنرجع الأمر لصاحب الأمر ليس عن قناعة،

ولكن عن ضعف وقلة حيله . والغريب في الأمر ، أن الرحمن الرحيم لم يشترط إسلامنا ولا أيماننا ولا إحساننا لكي يرفع عنا الضر ، ولكنه فقط جعل رفع الضر شريطة دعائنا . سبحانك يا رحمن يا رحيم . . . . سبحانك يا غني يا كريم .

ويخطئ كل من يتصور أن الدعاء لا يكون إلا من مؤمن فقط ، فالأنسان عندما لا يستطيع دفع البلاء عن نفسه ويعجز عقله عن أيجاد الحلول لما يواجهه من مصائب الزمان ، فإنه يبدأ في الأرتكان إلي عالم الغيب ليس عن قناعة ولا أيمان ، ولكن عن ضعف إنساني وإرتكان إلي القوي الغيبية التي يعطينا تصديقنا فيها الأحساس بالأمل بأن هناك حل لما عجزنا عن فهمه و مواجهته بالتبعية .

لم يؤمن فرعون وقومه ، وظلوا علي غيهم بالرغم من توالي الآيات عليهم ، ولكن عندما وقع عليهم الرجز وأستبد بهم العجز ، لم يجدوا مفرا من أن يتوجهوا لسيدنا موسي وهم يطلبون منه أن يدعوا لهم ربه كما أخبرنا العزيز الحكيم في سورة الأعراف ﴿ **وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾.

كلنا للأسف فرعون عندما لا نرجع إلي الخالق القدير إلا عندما يستبد بنا عجزنا أمام أختبارات القدر فنتخيل أن أعلاننا الأيمان وتعهدنا الطاعات هو ماسيرضي الخالق ويجعله ينهي الأمتحان أعلانا وأيذانا بنجاحنا . . . . ونحن لا نزلنا نمتحن في دار الأمتحان . . . ! !

نعم كلنا للأسف فرعون ، وقليل منا موسي الذي لم يزحزحه ضعفه و لم تنهاه خطيئته عن التعلق بحبل الأيمان وعن التصديق بأن الأبتلاء حق علي بني أدم وأن رفع البلاء ليس بحولنا ولا قوتنا ولا بأيماننا وطاعاتنا ، بل بحول الله وقوته وعلمه منا ما لا نعلمه عن أنفسنا . . . . ! !

ثم إذا خولناه نعمة منا . . . . قال إنما أوتيته علي علم . . . . بل هي فتنة . . . ! !

أنظروا إلي هذه البلاغة اللغوية عندما يخبرنا العزيز القدير بحقيقة ضعفنا الأنساني بحرف واحد يحوي كل المعاني . . . . ..! !

أوتيته . . . . الهاء هنا تعود علي أسم مذكر ، فلو كانت الهاء عائدة علي النعمة لكان القول أوتيتها ، ولكنه قال عز من قال أن أوتيته ، ليشير لنا إلي الأسم المذكر الذي يسبقه ألا وهو الضر. ويزيدنا الله من حكمته ويفتح علينا من أبواب بلاغة القرآن وهو يقول بل هي فتنة . . . . هي تعود هنا علي الأسم المؤنث الذي يسبقه . . . ألا وهي . . . . النعمة .

هذا هو حالنا عندما يصيبنا ضر ، فنتخيل أنه لم يصيبنا إلا لأن الله يعلم ما بنا من نعمة الأيمان وأنه سيرفعه عنا لما بدي من علامات أيماننا وأن دعائنا لا بد أن يقبل منا لأننا من عباد الله المؤمنين متخيلين أن قبول الدعاء لا يكون إلا بالإجابة لما نطلبه وفق ما نعلم ، بالرغم من أن عدم الأجابة قد يكون هو القبول ذاته وفق ما يعلمه علام الغيوب .

هذا هو حالنا عندما نتخيل أن قبول الدعاء لا يكون إلا بالأجابة المستوجبة للشكر ، غافلين أن أعظم العطاء هو عطاء المنع المستوجب للرضي كما أخبر بذلك مولانا أبا الحسن الشاذلي .

من صدق أن أيمانه سينجيه من خوض الأمتحان ، فقد ضل عن حقيقة الخلق . . . ! !

من تخيل أن العزيز الحكيم يعاقبنا بخطايانا ، فقد نسي أنه هو الرحمن الرحيم وأنه هو الغفور الكريم الذي يفرح بتوبة عباده . . ! !

من ظن أن الله سيفرق في أبتلائه بين مؤمن وكافر ، فقد حاد عن طريق الصواب ، لأن الأبتلاء حق علي كل بني أدم حتي يثبت كل أنسان درجة أيمانه بصبره علي البلاء ، بل وبحمده علي العطاء رغم الأبتلاء . . . ليفرق بينه وبين من كفر . . . ! !

من أعتقد أن أجابة دعائه لابد أن يكون بتحقيق ما يطلبه ، فقد ساوي بين علمه وبين علم علام الغيوب . . . ! !

أسلموا أمركم كله لله ، و أعلموا أن كل أبن أدم مبتلي وأن أيمانكم لن يرفع عنكم البلاء ، ولكن أيمانكم هو ما سيقويكم علي قبول أمر الله والإمتثال لحكمته حتي ولو لم يمن عليكم بعطاء الأجابة وجعلكم ممن فضلهم بعطية المنع التي لا يقبلها إلا من كان حقا مؤمنا .

اللهم إني أشهدك بأنني قد قبلت حكمك وسلمت لك أمري كله . . .

اللهم أجعلني ممن تفضلت عليهم بنعمة الرضي ورزقتهم الصبر عند الإبتلاء . . .

اللهم لا تفتني يارب العالمين في ديني ولا تمتحني في أيماني ، فإن أمري كله لك وأنت أرحم الراحمين.

## ٢٤- لا تقنطوا من رحمة الله .....!!

لماذا نخاف من الله وهو من لا يزال يؤكد لنا أنه هو الغفور الرحيم . . . ؟ ؟

لماذا نعبده خوفا من غضبه وعقابه وننسي رحمته التي وعدنا أياها وجعلها لنا سبيلا إلي النجاة من ضعفنا الأنساني الذي يدفعنا إلي الخطأ إما عن طريق الإستسلام لشهواتنا التي هي جزء من طبيعتنا البشرية التي لا نستطيع نكرانها أو التخلي عنها مهما وصلنا إلي أعلي درجات الأيمان، أو عن جهل بحرمانية أفعالنا وكأننا قد نسينا أن الجهل ليس إلا المتمم لعلمنا مهما وصلنا أي أعلي مراتب العلم ونحن نصدق في عقولنا التي تبرر لنا أغلاطنا وتسوق لنا المبررات لما نريد أن نفعله ومن منا لا يصدق في عقله .

بل ، لماذا نتخذ من معصيتنا سببا لكي نبعد عن الله ، فنقطع بأيدينا طريق العودة إلي الله بعد أن يتملك منا اليأس فلا نعد نصدق أن رحمة الله قد وسعت كل شئ وأن الغفور الرحيم ينتظر منا توبتنا ليغفر ويعفو عن كثير ، بعد أن جعل باب التوبة مفتوحا لكل عاصي وقد كتب علي نفسه الرحمة وجعل من مغفرته حق لكل من أستغفر مهما بلغت ذنوبه عنان السماء .

لماذا يظن الكثير من الناس أن الحي القيوم ينتظر أن يرانا علي معصية لينزل بنا عقابه وكأنه قد خلقنا وهو لا يعلم ما في أنفسنا من ضعف و هو الذي يعلم ما لا نعلم . لماذا يغفل الناس

حقيقة خلقنا التي جعلتنا في عداء إلي يوم الدين مع أبليس عليه لعنة الله يوسوس لنا ويزين لنا أعمالنا ويطمس علي أبصارنا فلانعد نري إلا ماتشتهية نفوسنا .

لماذا يغفل الناس أن العزيز الحكيم هو أعلم بمن خلق ومواطن الأبتلاء التي جعلها حقا علي خلقه ليميز بها الخبيث من الطيب .

أستوقفتني في سورة الشعراء هذه الأية التي وجدتها تتحدث عن أمر بديهي ولكن أكثرنا عنه من الغافلين:

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم . . . . ! ! !

من المعلوم في اللغة أن الإسراف يكون في الشئ فنقول أسرف في الأكل أو أسرف في الأنفاق أو أسرف في القتل ، والإسراف هنا يعني الإفراط والمبالغة الغير حميده ليس لضرر الفعل ولكن للضرر الناتج عن الفعل ، لأننا أن أسرفنا في الأكل فإننا نشعر باللذه والمتعة من وقع الفعل ولكن نتائج الأسراف هي التي تجعل من المبالغة في الفعل . . . . . فعلا غير حميد .

فنحن عندما نتحدث عن الأسراف في أي أمر ، فإننا لا نعني أبدا ذم الفعل ذاته، ولكننا نقصد هنا النتائج المستقبلية لهذا الفعل . فعندما نأكل فهذه طبيعة بشرية ، ولكن الأسراف في الأكل يصل بنا إلي نتائج صحية غير مرضية فيكون الأسراف في الأكل مذموما بالرغم من أن فعل الأكل نفسه حميدا بذاته . . . أما الفعل المذموم فالأسراف فيه لا يعيبه حتي وإن زاده عيبا .

والإسراف يكون في وقع حال الفعل وليس في تكراره ، فإذا كان وقع حال الفعل هو الإسراف ، فإن تكراره يكون إنحراف . بمعني أن الأسراف هو فعل منفرد لا يحتاج إلي أن يتكرر حتي يكون إسرافا ، لأننا عندما نقوم بتكرار هذا الفعل ، فإن هذا يصل بنا إلي الإنحراف عن الطبيعة السوية وهو ما يخرج بنا من الأسراف إلي السفه في الأصرار علي فعل النواهي وهذا هو الإنحراف بعينه عن الطريق القويم .

فعندما يطلب الرحمن الرحيم من عباده الذين أسرفوا علي أنفسهم أن لا يقنطوا من رحمة الله ، فالقصد هنا هو في حال الفعل وقت وقوعه وليس الأصرار عليه وتكراره لتصبح رحمة الله مرهونة بعودتنا إلي الله بمجرد وقوعنا في الخطأ حتي لا نعتاد الخطأ ويصبح تكرار الخطأ عادة تذهب بلين القلوب وتبعد بنا عن الطريق المستقيم .

ولكن المستغرب في هذه الأية هو في إستخدام علي بدلا من في . . . ! ! !

الإنسان عادة يسرف في الأكل ، أو يسرف في الصرف ، أو يسرف في إتباع الشهوات ، ولكنه لا يسرف علي الأكل ولا يسرف علي أتباع الشهوات . فلماذا قال العزيز الحكيم . . . . أسرفوا علي أنفسهم ولم يقول أسرفوا في أنفسهم كما هو المعتاد عند إستخدام الفعل أسرف . . ؟ ؟

إننا عندما نسرف في الشئ ، فهذا كما أوضحنا فعلا حميدا ، أصبح مذموما لنتائجه ، ولكننا عندما نسرف علي شئ فهذا يعني أننا نغدق عليه العطاء ونزيده من عطائنا وهذا ليس بفعل مذموم لمن أغدقنا عليهم . فلماذا نهانا الرحمن الرحيم من أن نغدق علي أنفسنا . . ؟ ؟

النفس البشرية هي شئ محبب للبشر مثلها في ذلك مثل كل أمور فتنتنا من الأولاد والأموال ، ونحن إذا أحببنا بفطرتنا قمنا بالأغداق علي من نحب بكل ما نملك وما لا نملك فيكون هذا هو سبب أبتلائنا ، أننا نحب ثم نتخذ أي سبيل من أجل أن نغدق علي من نحب بعطايانا . والعطية تكون محمودة عندما تكون في حدود المعمول به ، ولكنها تكون مذمومة عندما تتجاوز حد المسموح به إلي حد الأسراف .

لهذا كان النهي عن الأسراف علي النفس إلا في حدود المسموح به فقط ، فإن تجرأت علينا أنفسنا بطلباتها الدنيوية التي تجرنا إلي المعاصي فقط لنرضي أنفسنا ونغدق عليها بما تطلبه ، كان هذا هو الإسراف علي أنفسنا تماما كما نغدق علي أولادنا بطلباتهم فإن كنا

نملك ما يطلبوه كان الأسراف في العطاء هذا سوء تربية ، وإن كنا لا نملك مايطلبوه ولا نزال نحاول تلبية طلباتهم . . . . . كان عطائنا سبب في إنحرافنا .

ولكن . . . . ! !

هل كان النهي هنا قرين العذاب كما أسلفنا . . . ؟ ؟

إن الأية واضحة لا لبس فيها ، فالرحمن الرحيم يطلب من عباده الذي يقرون بعبوديتهم لرب العالمين أن يتأكدوا أنه يعلم مابهم من ضعف وأنه هو من خلق شهواتهم ليتأكد بها الأمتحان ، فإن كبحنا شهوتنا سلمنا ، وإن تمكنت منا شقوتنا وأسرفنا علي أنفسنا بأن أستسلمنا لضعفنا الإنساني الذي هو حق علي كل بني أدم ،لم يزل لدينا الأمل إن لم نقنط من رحمة الله وعدنا لله بمجرد أن يستقر داخلنا أننا قد أخطأنا حتي لا تتيبس القلوب ونخرج من حال الأسراف إلي حال الإنحراف لأن الرحمن الرحيم قد قالها صريحة واضحة ولم يترك مجال للأجتهاد البشري في تفسير قوله . . . . . إن الله يغفر الذنوب جميعا . . . . نعم يغفر ويرحم ويعفو عن كثير لمن أتي الله بقلب سليم .

ياعباد الله . . . . كونوا له عبادا أوابين . . . يكن لكم ربا رحيما غفورا . . .

يا عباد الله . . . . لا تقنطوا من رحمة الله . . . . إن الله يغفر الذنوب جميعا . . . . إنه هو الغفور الرحيم . . . .

ياعباد الله لاتقنطوا من رحمة الله . . . . فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا الضالون . . . .

ياعباد الله . . . . لا تضلوا طريق رحمة ربكم ، فإنه هو الغفور الرحيم الذي جعل من مغفرته حق لعباده ولم يجعل لها شرط إلا أن تستغفروه .

اللهم لا تجعلنا من القوم الضالين ولا تجعلنا يا رحمن يا رحيم من القانطين ولا تجعلنا يا حي يا قيوم من المسرفين علي أنفسنا وأجعلنا يارب من عبادك المخلصين . . . . .

اللهم أمين . . . .

## ٢٥- يرزق من يشاء بغير حساب .....!!

بالمصادفة ، دار حوار بيني وبين صديق حول قول العزيز الحكيم ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ودار بيننا الحوار حول العدل الألهي وذلك عندما ننظر إلي معني بغير حساب كما نعتقد جميعا أنها تعني بغير إحصاء ولا عدد . فأذا كان هذا هو المعني ، فلماذا يختار العزيز القدير أن يرزق من يشاء من عباده بغير عدد ولا إحصاء ولا حساب بينما يمنع هذه النعمة عمن يشاء من عباده ؟

ماهو المعيار الذي يجعل البعض من عباد الله هم من يستحقون العطاء الذي لا حدود له ، وكيف لا يتنافي ذلك مع عدل الرزاق الكريم بين جميع عباده وهو الحق العدل الذي لا عدل إلا به ؟ ؟

شغلتني هذه القضية ليس لتعارضها مع أساس الملك الذي هو قائم في الأساس علي العدل لأن الحق العدل لا يعدل عدله عدل ، ولكن لتعارضها مع ماهو شائع بين جميع البشر عندما يرون أثار النعمة ظاهره علي أحد البشر فلا يتبادر إلي ذهنهم إلا هذه الأية وكأنها هي المبرر في سبوغ النعمة علي أحد أو ذهابها عن الآخر . . . ! ! !

وبالرجوع إلي أيات الكتاب الحكيم وجدت أنه قد ذكرت هذه الأية في أربعة مواضع من القرآن:

* ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ - البقرة - الآية ٢١٢

* ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ - آل عمران - الآية ٣٧

* ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ - النور - الآية ٣٨

* ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ - غافر - الآية ٤٠

وبالنظر إلي هذه الآيات سنجد أن الشائع من القول هو ما قد يؤدي إلي سوء الفهم . فعندما ذكر العزيز الحكيم يرزق من يشاء في ثلاث مواضع ، كانت جميعها تتحدث عن يوم الحساب الذي هو مقرون برحمة الرحمن ليدخل من يشاء الجنة برحمته ويعفو عمن يشاء رحمة وفضلا من الرحمن الرحيم وليس حقا لأي من عباده ويكفينا في هذا قول من لا ينطق عن الهوي أن لن يدخل أحدكم الجنة بعمله حتي أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته .

إذا ، الرزق هنا ليس هو الرزق المادي الذي نري أثره علي عباد الله في الدنيا ، لأن العدل قد كتب لنا جميعا أرزاقنا بقدر لنتساوي جميعا في أرزاقنا مهما أختلفنا في نوعية الرزق أو درجة الأيمان .

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن نعمة الله لا تحصى بكيان النعمة ذاتها ولكنها تحصى بتبعات النعمة طالما كنا على قيد الحياة. فعندما يقول عز من قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها فأننا يجب أن نتوقف عند إستخدام لفظ المفرد للنعمة التي لا يمكن إحصائها لأن النعمة الواحدة لا تحتاج أبدا لأن تحصى ولكن تبعات النعمة هي التي لا يمكن بحال من الأحوال أن تحصى بالنظر إلى المستقبل وما قد يأتينا من وراء نعمة واحدة تأتينا الآن لا نعلم فضلها إلا بعد حين.

تحضرني الآن قصة الملك الذي أصيب في أصبع قدمه فقطع، ولما قال له الوزير لعله خير، لم يفهم الملك مغزى هذه المقولة فأمر بعزله وحبسه فلم يزد إلا أن أعاد قوله مرة أخرى – لعله خير. حتى كان الملك يوما في رحلة صيد ليخرج عليه قبيلة من ساكني الأدغال ويأخذونه أسيرا ليقدموه قربانا لآلهتهم. فلما ذهبوا به إلى المذبح ليقدموه قربانا وجدوا أصبع قدمه مقطوع فعفوا عن تقديم قربانا معيوبا لآلهتهم فأطلقوا سراحه ليتذكر الملك مقولة وزيره الذي حبسه عندما وجد الخير كل الخير في أن يقطع أصبع قدمه ولكنه تعجب كيف كان الخير لوزيره في أن يحبس فقام بأستدعاؤه وسؤاله، ليجيبه الوزير أنه لو لم يسجن لصاحب الملك في رحلة صيده، ولقدموه هو كقربان لتمام بنيانه وخلوه من العيب الذي أصاب الملك فكان الخير له في أن يحبس.

نعم إنها تبعات النعم هي التي لا تحصى وهذا هو ماتتساوي فيه أمام الملك العدل عندما تقاس آرزاقنا على مدي حياتنا لأن الرزق ليس وقتيا أبدا، ولا يمكن أن نقيس رزق الأنسان

بما يمتلكه الآن ، ولكن الرزق الذي تتساوي فيه جميعا هو ما يأتينا من أنعم الله وتبعات هذه الأنعم طوال حياتنا والتي ينزلها الرزاق الكريم بقدر لكل خلقه .

فعندما ننظر إلي معني يرزق من يشاء بغير حساب من هذا المنظور ، نعلم أن المقصود هنا هو رزق الآخره الذي يأتينا بفضل الله لا عدله وبغير محاسبه لأنه لن يدخل أحدنا الجنة بعمله إلا أن يتغمدنا الرحمن الرحيم برحمته . فالذين أتقوا سيكونون فوق الذين سخروا من المؤمنين يوم القيامة ليدخلوا إلي المراتب العلي بغير محاسبة وهذا من فضل الرحمن الذي يسبق عدله .

كما وأن من عمل صالحا وهو مؤمن سيدخله العزيز الحكيم الجنة التي يرزقون فيها بغير حساب لأنه لا عمل في الجنة لنحاسب عليه بل هو الخلد الذي لا يبدله عمل ولا يحول بيننا وبينه حساب .

ومن لم تشغله تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وعده الله أن يضاعف له حسناته وهذا هو الرزق بغير حساب فالسيئة تكون بمثلها والحسنات مضاعفة كيفما يشاء الرزاق الكريم .

أما ما أخبرت به السيدة مريم نبي الله زكريا عندما سألها أني لها هذا الرزق الذي لم يدخله هو عليها ، فإنها لم تقصد أبدا الرزق المادي كما قد يتبادر إلي أذهانكم ، ولكنها قصدت عطاء الله الذي يثبت به قلب المؤمن ويجعله يشعر أن الله معه في كل لحظه وهذا هو ما جعل نبي الله يخرج من عند السيدة مريم ليدعو الرزاق الكريم بالولد وكأنه قد رأي

في رزق مريم أية عطاء من الله بدون محاسبة علي درجة أيمانها فكيف يكون عطاء الرزاق الكريم لنبي من أنبياءه ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدعاء ﴾

ثقوا في عدل العدل وتأكدوا أنه يعطي عباده جميعهم بقدر لأنه هو الحق العدل الذي لايعدل عدله عدل ، وتيقنوا أن رزق الآخره يحكمه ميزان رحمته التي وسعت كل شيء ، أما رزق الدنيا فيحكمه ميزان حكمته التي لا يعدلها شيء .

اللهم أكتب لنا من رحمتك ماترزقنا به من فضلك ليدخلنا الجنة بغير حساب ولا سابقة عقاب ولا عتاب . . . اللهم أمين .

## ٢٦- تؤتي الملك من تشاء .....!!

من دلائل إعجاز القرأن ، عندما نجد أن العزيز الحكيم يخاطبنا بأياته التي أنزلها علي رسوله الأمين عليه أفضل الصلوات وأزكي السلامات منذ ألف وأربعمائة عام وكأنها قد أنزلت اليوم لتفسر لنا مايدور حولنا من أحداث . . . . سبحانك اللهم .

يقول العزيز الحكيم في سورة آل عمران : ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ والعجيب في هذه الأية أننا جميعا ولا أستثني نفسي – إلا من رحم ربي – يري وقع هذه الأية بصورة عكسية تماما إذا ما طبقناها علي الغير أو عندما نطبقها يوما علي أنفسنا في المقابل .

فعندما ينزع العزيز الحكيم الملك أو السلطة أو العز عن شخص ما ، فإن كل من حوله لا يرون في ذلك إلا عقاب من القوي القدير لمن فرط في نعمة الله ، وفي المقابل لا نري في نزع هذه السلطة أو الملك أو الجاه من أنفسنا إلا رحمة من الله بنا لأنه أعلم بنوايانا وما قدمناه وما كنا ننتوي تقديمه .

وبالمثل ، عندما يسبغ الرزاق الكريم نعمته علي أحد ونحن نجهل كيف ومتي ولماذا أتاه هذا الملك أو هذه السلطة أو هذا الجاه ، فإننا لا نرجع ذلك إلا لمنطقنا البشري الذي إن لم يعلم

السبب نسي المسبب فنتخيل أن الملك لا يأتي الإنسان إلا بظلم وجبروت منه أو بإنتزاعه نزعا بغير حق من الغير وكأننا لم نقرأ هذه الآية من قبل .

والمتدبر في هذه الآية ، سيكتشف أن هذه الآية قد بدأت بصيغة دعاء أو نداء لقوله تعالي قل اللهم مالك الملك . . . . ! ! !

يا الله . . . يا مالك الملك . . . . يامن لا ملك إلا أياك . . . يا من لا مُلك إلا بأمرك . . . . يا من لا مُلك إلا هو مملوك لك . . . يا من لا مُلك إلا هو جزء من ملكك . يا الله يا مالك الملك الذي إليه ترجع كل العطايا بلا حول منا ولا قوة .

هكذا بدأت الآية وكأن العزيز الحكيم يخبرنا قبل أن نكمل الآية أن منطقنا البشري لا يستقيم مع مانراه من عطايا الرحمن الرحيم بإسباغ النعم علي من حولنا أو بنزعها منهم لأنه هو مالك الملك الذي يتصرف في ملكه كيفما يشاء وفق حكمته التي لا يعلمها إلا هو فقط ولا ينازعه في حكمته وعطاياه أحد مهما تعارضت عطايا مالك الملك مع منطقنا البشري القاصر .

والعجيب في رؤيتنا لهذه الآيات أن العزيز الحكيم قد أقر أن المُلك يؤتي من الله بغير حول ولا قوة ممن أوتي الملك وأنه سبحانه هو من يختار من يؤتيه الملك لا لرغبة منا لأننا كلنا نرغب في الملك والسلطان والسلطة والجاه ، ولكنه هو فقط من يختار من يأتيه الملك بمشيئته

وحكمته التي لا نعلمها ولا يجب لنا أن نتكهن بها لأن المُلك يؤتي من الله للمؤمن والكافر علي السواء فلا يكون المُلك أبدا دليل أيمان ولا نزعه دليل كفر مهما حاولنا أن نبرهن علي ذلك بمنطقنا البشري.

فالمُلك يؤتي من الله بحق كن فيكون بدون حول من الإنسان ، أما عندما يقرر العزيز الحكيم أن تكون عطيته في أخذ عطيته فإنه ينزعها نزعا ، لأن من ذاق الملك والسلطة والسلطان والجاه يوما ، يعز عليه جدا أن تؤخذ منه بعد أن أقنع نفسه أنه ما أؤتي هذا الملك إلا لأنه يستحقها لمكانته وحكمته وهو ما يفسر قوله تعالي وتنزع الملك ممن تشاء .

والعجيب في هذه الأية ، أن العزيز الحكيم قالها صريحة واضحة جليه أن بيدك الخير ، فقط الخير ولكننا لا نرلنا نري الأمر من واقع منطقنا البشري القاصر لنتخيل أن نزع الملك ليس إلا عقاب ألهي لمن نزع منه ملكه وكأننا لا نقرأ وأن قرأنا لا نفقه.

أن العزيز الحكيم قد أوضح بما لا يدع مجال للبس أن عطية الملك تستوي مع عطية نزع الملك في أنهما جميعا خيرا من الله حتي ولو لم ندرك نحن الحكمة الألهية وراء نزع الملك. ولكننا جميعا نتخيل أن نزع الملك ليس إلا عقابا ألهيا لشرا أتيناه ولا حول ولا قوة إلا بالله. فهل بعد قول الحق . . . . حق . . . ! !

تفكروا . . . . تدبروا . . . . إعقلوا . . . . لعلكم تهتدون.

فعطية الرزاق الكريم ليست بكينونتها ، ولكنها بوقعها علي نفس الأنسان وبأثرها علي مدلول أيمانه ، فكم من ملك أو سلطان أو صاحب جاه غره ملكه وحاد به عن الصراط المستقيم لتكون المنحة . . . . محنه .

وكم ممن نزع منهم ملكهم عرفوا طريق الهداية بعد أن رأوا برهان ربهم في قلوبهم لتكون محنة نزع الملك ليست إلا منحة آلهية تستقيم بها حياتهم بعدها لتكون أفضل أعمالهم خواتيمها . . . . والأعمال خواتيم .

فالعزيز الحكيم كل عطاياه خير – بيدك الخير – ولكن الشر كل الشر هو من أنفسنا التي تجعلنا نتخيل أنما ما أوتينا الخير إلا علي علم عندنا أو لمكانة أفترضناها لأنفسنا عند الله وكأننا قد أخذنا العهد عند الله .

و عندما يستبد بنا جهلنا بحكمة العطاء أو بحكمة النزع فإننا نعمد إلي وضع التفاسير لكي نبرر لأنفسنا أن من أوتي ليس بأفضل منا ومن نزع عنه يستحق ذلك لدونيته ، ونحن جميعا نغفل أن عطايا المعطي لا تحتاج إلي منطق بشري لأنها جميعا تكون وفق حكمته الآلهية التي لا يثبتها إلا كن فيكون .

فهل كان النمرود أفضل من أبو الأنبياء ليعطيه العزيز الحكيم الملك فيستبد به ملكه ويخرجه من رحمة الرحمن . وهل كان الحوت هو أية لكفر ذو النون وخروجه من رحمة الرحمن وهو النبي المرسل من قبل مالك الملك .

هل أعطي الملك الأفضلية لفرعون علي كليم الله ، وهل خروج سيدنا موسي من مصر – وهو الأمير الذي تربي في بيت من له ملك البلاد –وعبوره الصحراء وحيدا بلا زاد ولا مأوي، أية ظلمه وكفره أم عطية من الله ليصل به إلي حيث مبدأ الرسالة الموسوية . ولكننا الآن نعلم هذا الفضل بعد أن علمنا القصة كلها ورأينا أحداثها مجمعة ، ولكنني أكيد أن من كانوا في زمن سيدنا موسي كانوا لا يرون في خروجه إلا ذلا ويقنعون أنفسهم أنه لم ينزع منه الملك إلا لشرفيه . . . . . سبحان الله .

إننا جميعا – ولا أستثني أحد – نقع في فخ الحكم المسبق علي الأحداث وفق منطقنا البشري ونحن نحاول أن نجد الأسباب لما يحدث حولنا للآخرين فنعطي لأنفسنا الحق في أن نحكم علي أحوال الآخرين وفق ما نعلمه من أفعالهم ناسيين أن العزيز الحكيم قد جعل حكمه علينا جميعا وفق نياتنا وما نكنه في أنفسنا حتي ولو لم يبدي ذلك للبشر .

قد تكون عطية المُلك دعوة دعاها شخص بظهر الغيب ، كما قد يكون نزع المُلك دعوة مظلوم دعاها وقبلت منه .

قد تكون عطية المُلك أبتلاء والأبتلاء حق علي كل الناس ، كما قد تكون عطية نزع المُلك رحمة من الرحمن الرحيم ليطهر بها عبده إن هو صبر ورضي ورأي برهان ربه في قلبه .

لا تجعلوا من حكمكم علي الآخر ذنب تقترفوه فتؤخذون به يوم موقف عظيم لتجدوا من ظننتم فيه ظلما ومعصيه وكفرا وهو يأخذ من حسناتكم فيدخل بها الجنة وقت لا ينفع الندم . . . . إلا من أتي الله بقلب سليم .

طهروا قلوبكم من الظن وأنزعوا عنكم رداء الحكم المسبق علي الآخرين ، فنحن لا نعلم من حكمة الحكيم العزيز إلا ما نراه من أثرها ، ولو أعلمنا السميع العليم حكمته لصعبت علينا المحاسبة وبتنا أقرب إلي النار من الجنة .

اللهم أرزقنا قلبا سليما وأرزقنا يا رزاق يا كريم الرضي بما قسمته لنا ولا تجعلنا أبدا يا رحمن يا رحيم ممن غرهم بالله الغرور إنك أنت مجيب الدعاء .

## ٢٧- الآيات لكل صبار شكور......!!

لا إله إلا الله . . . . والله لو قضينا فوق عمرنا أعمارا ، لما أحصينا أبدا آيات الله التي أنزلها على عبده ورسوله منذ ألف وأربعمائة عام من بلاغة القرآن ودلالات معانيه التي لا تنتهي مهما وصلنا منها من معاني. فالمتبحر في معاني القرآن يقف إجلالا وتكبيرا وتعظيما لمنزل القرآن عندما يجد أن لكل حرف معني وأن أختيار الكلمات في القرآن هي وفق منهج لا يمكن بحال من الأحوال إلا أن يكون منهجا إلهيا بحتا يثبت بما لا يدعو مجال للشك أن هذا القرآن لا يمكن إلا أن يكون من عند الخالق العظيم . . . . . . سبحانه .

يقول عز من قال في سورة لقمان : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ** ﴾

لم تستوقفني هذه الآيات لمدلول معانيها التي تتحدث عن جحود الإنسان بنعمة خالقه عليه عندما ينجيه العزيز القدير من محنة ألمت به بعد أن ضاقت به السبل فلم يجد إلا خالقه يرجع إليه بالدعاء والتوسل مخلصين له الدين ، لأنه هو هكذا دائما الطبع . . يغلب التطبع .

نعم لم تستوقفني المعاني شديدة الوطأة في هذه الآيات بقدر ما أستوقفني إختيار الكلمات التي إستعملها العزيز الحكيم في وصف حال أبن أدم في حال أبتلائه وفي حال نعمائه وشتان بين الحالين وشتان بين حال أبن أدم في قبول ما آلم به من حال .

إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور . . . . ! !

لماذا صبار وليس صبور ولماذا شكور وليس شاكر . . . ؟ ؟

هل سيختلف المعني إن تم إستعمال اللفظ الدارج لإسم الفاعل من الصبر ليكون صابرا أو صبورا بدلا من إستعمال اللفظ الذي لم تعتاد عليه أذاننا بصيغة الفعال . . . . صبار . . ؟ ؟ بل هل سيختلف المعني إن تم إستعمال إسم الفاعل من شكر بما قد سبق من الوعد عندما توعد أبليس بني أدم بالغواية وهو يقر ولا تجد أكثرهم شاكرين تصديقا لقول العزيز الحكيم في سورة الأعراف : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴾.

لماذا أختار العزيز الحكيم وصف حال الناس وقت وقوع البلاء بأن الأنسان سيكون صبار وليس صبورا . إنها هذه البلاغة اللغوية التي يعلمها أهل العلم من إستعمال صفة المبالغة في فعال وفعول بدلا من إستعمال إسم الفاعل بذاته .

إن صيغة فعال هي صيغة تطلق علي الحرفة في العموم كما نقول نجار أو لحام أو فران أو بقال حيث تقترن هذه الصيغة بالحرفيه بحيث أن أطلاقها علي شخص ما تعني ضمنيا أن هذا الشخص يحترف مهنته بحيث يصبح أدائه لمهنته هو شئ روتيني بحكم إحترافيته التي يستدعيها وقت مزاولة المهنة لتغلب حرفيته علي طبيعته وصفاته البشرية .

فعندما يقع الإنسان في ضائقة ويعلم أنه لا مفر من الله إلا إليه ، فإن صبره علي هذا الإبتلاء لا يكون بطبيعته البشرية بقدر ماهو بحرفيته في التعامل مع البلاء الذي لم يعد يدري منه مخرجا إلا بالرجوع إلي خالقه بالدعاء والتوسل ليرفع عنه البلاء وهو يعطي العهد علي نفسه بأنه سيصبر علي البلاء مخلصا لله الدين ناسيا أن العليم الحكيم مطلع علي ماتخفي الصدور .

أما صيغة فعول فتستخدم عادة في وصف المواد كما في البخور والعطور والوقود ، بل كما في الفطور والسحور . فصيغة الفعول تأتي للأقرار بحال المادة التي يتأتي منها الفعل وهو ما يعني ثبوت الأصل الذي ينتج عنه الفعل .

سبحان من يعلم ولا نعلم .

عندما يخبر العزيز الحكيم أن في هذا أيات لكل صبار شكور ، فإن إستعمال هذه الكلمات بهذه الصيغة يعطيها المعني المقصود الذي لا يستقيم المعني مع غيره . فالإنسان وقت شدته يستدعي صبره بشئ من الحرفيه وهو يتعهد علي نفسه أن لو أنجاه الله ليكونن عبدا

صالحا مخلصا لله الدين. كل بنو أدم المؤمن منهم والكافر، الطائع منهم والعاصي، الشارد منهم والكائن يفعلون جميعهم نفس الفعل وهم يصبرون علي الأبتلاء عندما لايجدون غير الصبر بديلا، ولو وجدوا طريقا بشريا أخر لسلكوه، إلا من كان صابرا شكورا، فهذا هو الناجي.

نعم، إن الإنسان الشكور هو الإنسان الذي يحركه أصله وطبيعته التي جبل عليها من أن يكون عبدا شكورا للرحمن علي نعمته فلايكون صبره عند الإبتلاء من باب دفع البلاء بقدر ماهو من باب الإقرار لصاحب الأمر بحقه في أن يبتلي عبيده ليمتحن أيمانهم.

والغريب، أن الرحمن الرحيم ذكر أن هذه الأيات تقع في قلب من أجتمع له هاتين الصفتين بأن يكون صابر شكور، وكأن الصبر وحده لا ينفعنا عند الله حتي وإن نفعنا في دفع البلاء تصديقا لوعد الحق بأن يستجيب دعاء كل من دعاه. ولكن العبره هنا ليست بدفع البلاء في الدنيا، ولكن العبره كل العبره في أن يكون دفع البلاء رحمة لنا وليس إبتلاء جديد نوقع فيه أنفسنا بأختيارنا.

وتستمر الأيات لتؤكد علي هذه الطبيعة البشرية التي تميل إلي إستدعاء دلائل الأيمان وقت البلاء ونسيانها وقت النعمة، ولكن أكثرنا عن هذه الطبيعة غافلين. يخبرنا العزيز الحكيم في الأية التي تليها مباشرة أنه لايجحد بأيات الله إلا كل ختار كفور.

سبحان الله ، نفس الوزن ونفس الصيغة لتعطي وتؤكد نفس المعني . . . . سبحان من لا يعلم ولا نعلم .

فالختار هو الإنسان الذي يغدر بعهده ، بل أنه في اللغة يقولون أن الختر هو أقبح الغدر ، ليكون إستعمال الكلمة دالا علي عظم الفعل وليكون إستعمال صيغة الفعال دليل علي حرفية من يقوم بهذا الفعل لأنه يقوم به بأختياره إن هو أمن نفسه من الإبتلاء .

فلايجحد أيات الله إلا الإنسان الغدار الكفور الذي هو في أصله وطبيعته جحود بنعمة الله عليه وكأن الغدر بالعهود هو حال نصلها بعد أن نأمن علي أنفسنا من شر الأبتلاء ولكن لايصل إلي هذا القبح من الغدر إلا من كانت طبيعته في الأساس هي الجحود بأنعم الله عليه مهما أبدي من دلائل الأيمان وقت وقوع الأبتلاء .

لا أله إلا الله . . . . لا إله إلا الله . . . . لا إله إلا الله . . . ! !

ياعباد الله ، لا يغرنكم بالله الغرور . . .

يا عباد الله ، لاتأمنوا مكر الله ، فإن مكر الله شديد . . . .

يا عباد الله تذكروا دائما أن الرحمن الرحيم لو عاملنا بصنيعنا هلكنا ، ولو عاملنا بعدله لم يدخل أحدنا الجنة ، ولو جعل حسابه مرهونا بأفعالنا لضاقت بنا الدنيا بما رحبت .

يا عباد الله ، تذكروا أن من أراد الصبر عند الإبتلاء ، أوجب علي نفسه الشكر عند العطاء .

يا عباد الله ، تيقنوا أن العزيز الحكيم ما أبتلي أحدكم إلا ليختبر أيمانه ، فإن صبرتم وشكرتم دانت لكم الدنيا بغير طلب منكم ، وإن نكثتم وجحدتم لما أخذتم من الدنيا إلا ماكان هو مقدورا لكم ولم تهنوا أبدا بما أخذتم .

يقول العزيز الحكيم في حديث القدسي فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل: يا ابن آدم ! خلقتك لعبادتي فلا تلعب، وقسمت لك رزقك فلا تتعب؛ فإذا رضيت بما قسمت لك أرحت نفسك وكنت عندي محموداً، وإن لم ترض بما قسمت لك: فوعزتي وجلالي لأسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحوش في البرية، ولا تنال منها إلا ما قسمت لك، وكنت عندي مذموماً .

اللهم أكتبنا عندك من عبيدك الصابر الشكور ولا تجعلنا يارب يارحمن يارحيم من عبادك الحتار الكفور .

اللهم ثبتنا علي دينك وأكتب لنا قسطا من رحمتك وعفوك ومغفرتك تمحو بها خطايانا وإن كثرت وترفع بها زلاتنا وإن عظمت وتكثر بها حسناتنا وإن قلت .

اللهم أمين . . . . اللهم أمين . . . . اللهم أمين .

## ٢٨- أن تحكموا بالعدل .....!!

هل هناك فرق بين الحق والعدل ، هل يختلف الحق في مدلوله ومعناه عن العدل أم أن العدل والحق لابد أن يتطابقا ؟؟؟؟

يقول عز من قال في سورة النساء : ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** ﴾ . تعجبت جدا من هذا الآمر الآلهي أن يكون الحكم بين الناس بالعدل وليس بالحق، وتوقفت كثيرا جدا عند هذا الأمر الألهي الذي أصبحنا جميعا نغفله ويختلط علينا للأسف أن هناك فارقا جليا واضحا بين الحق والعدل لا نعلمه إلا إذا تجردنا من طبيعتنا البشرية . . . . وهذا هو أصعب ما في الآمر للأسف .

يحكي أن أحد الأشخاص كان يمر بضائقة مالية ، حتي قابل صديق له ، وطلب منه أن يقرضه بعض المال فما كان من الصديق الصدوق إلا أن أخرج المال وأعطاه لصديقه بدون سند قبض و في عدم وجود شهود .

ولما أن قام الصديق الصدوق بالمطالبة بإسترداد دينه ، فما كان من صديقه إلا أن أنكر أنه قد إستدان منه من الأساس ، فرفع الصديق الصدوق الأمر إلي القضاء ليحكم بينهما . . . بالعدل . . . . ! ! !

سأل القاضي الصديق الصدوق إن كان عنده سند إستلام من الصديق المُنكِر أو أنه يستطيع أن يأتي بشهود لأثبات أدعائه ، وهو ما لم يستطيع الصديق الصدوق أن يوفره بطبيعة الحال لعدم توفره بالفعل . فما كان من القاضي إلا أن طلب من الصديق المُنكِر أن يقسم علي أنه لم يستلم المال . وهو ما فعله الصديق المنكر ليحكم القاضي برفض الدعوي لإنتفاء الأدلة ونراد من الأمر بأن حكم علي الصديق الصدوق بتحمل نفقات ومصروفات الدعوي

سبحان الله ، لقد عدل القاضي في الحكم بين المختصمين . . . ولكن عدله لم يقيم الحق الذي نعلمه ونراه جميعا الآن ، لأن مفهوم وآليات العدل . . . . . تختلف تماما عن الحق ، وهذا هو سر إبتلائنا جميعا للأسف .

فالحق غيبي يبني علي القناعات الشخصية لكل منا ، أو كأن الحق هو في الأساس قضية أيمانية منفردة ومتفردة لكل شخص علي حده بحيث أن منظور كلا منا للحق يختلف بإختلاف عقيدته ودرجة أيمانه بما يعتقد هو فقط أن هذا هو . . . .الحق .

أما العدل فهو علي النقيض تماما ، هو أمر مادي محسوس يبني علي الدلائل والبراهين والإثباتات . فالعدل ميزان لابد أن ترجح فيه كفة علي الآخري وفق قدرة كل طرف علي ترجيح كفته سواء بالحق أو بالباطل .

فإذا كان العدل ميزان ، فإن الحق هو يقين لا يعدله ميزان . . . . . ! !

فالعدل في الدنيا يحكمه قدرة الإنسان علي تبديل الحقائق وتزيين الأكاذيب ووضعها في صورة أسانيد يؤخذ بها في حال ضعف حجة خصمه حتي ولو كان معه الحق ، دون أن يكون الحَكَم قد جار علي هذا أو ظلم ذاك لأنه يقوم بالحُكم بالعدل كما أمره الله سبحانه وتعالي ، في حين أن الناس تريد منه أن يحكم بالحق الذي يعلمونه ويريدونه .

كلنا للأسف لا نري من العدل إلا ما يثبت حقنا فقط ، فإن لم يعطينا العدل حقنا كان ظلما وجورا وفسقا وفجورا . وإن أقر لنا العدل بما نطلبه نحن من حق كان قسطا وعدلا وعملا مقبولا حتي ولو كان الحق الذي ندعيه هو قمة الباطل . وأعتقد أن من يحضر يوما حلقة تقاضي بين خصمين سيري بعين رأسه كيف أن كل فريق يجلس وقد جهز حاله لرفض الحُكم إن هو لم يقر بما يدعونه من حق وكأن الخصمين علي حق والقاضي فقط هو الذي علي باطل . . . . . سبحان الله .

من أراد الإحتكام في شئ ، فعليه أولا أن يرجع الأمر إلي الله وأن يعلم أنه إن الحكم إلا لله وهو ما لا يعني علي الإطلاق أن من سيحكم سيطلق الحكم الآلهي ، بل أن الحكم لله تعني أن الحُكم الذي سيطلقه الحَكَم بالعدل هو ما قدره الله سبحانه وتعالي ليختبر قوة أيمانك وعمق يقينك . فإن وافق العدل حقك ، فهذا هو ما يسره لك العدل الحق ، وإن لم يوافق العدل حقك ، فهذا هو أراده العدل الحق لك من إبتلاء ليؤجرك عليه من لا تضيع عنده الحقوق .

عندما تجد أن العدل لم يأتي لك بحقك ، لا تحزن ولا تهتم ولا تغتم ، فقد أراد لك العزيز القدير أن يجعل من حقك سندا لك لتري أيات عدله في كل من أغتصب حقا بغير حق .

فلاتفرحوا بتحقق العدل في الدنيا ، فالعدل لايقام في الدنيا إلا بما يبديه الناس من دلائل وبراهين .

ولاتحزنوا إن غبن أحد حقوقكم ، فالحقوق لا تضيع عند الحق العدل مهما إجتهد الناس في طمس دلائلها ومحو براهينها ، فالحق لايثبته برهان ولكن يثبته اليقين في وجوبه بيد من لاتضيع عنده الحقوق .

اللهم لطفك لا عدلك . . . . يا عدل يا حق يا لطيف يا خبير . . . . . اللهم أمين .

## ٢٩- زين للناس حب الشهوات .....!!

إثبات النجاح لا يكون أبدا إلا بعد أمتحان . . . . قاعدة بديهية لاتحتاج إلي شرح أو إلي برهان ، فمهما أستذكرنا الدروس وراجعنا المناهج وحفظنا المواد ، إلا أن المحك دوما هو الإمتحان الذي من خلاله نستطيع أن نثبت ما قمنا بتحصيله في مشوار الأستذكار . . ! !

يقول عز من قال في سورة آل عمران : ﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ** ﴾ . هل يا ربي هذا هو الإمتحان الذي كتبته علي عبيدك ، وما أصعبه من أمتحان لا يصمد أمامه إلا من كان حقا عبدا للعزيز الحكيم .

هل الشهوة معصية . . . أم أن حب الشهوة هو المعصية . . . ؟ ؟

أعتقد أن نظرتنا للأشياء هي التي تحدد طريقة تعاملنا معها ، كما أعتقد أن نظرتنا هذه تتوقف كثيرا علي معتقداتنا التي تم غرسها فينا منذ الصغر تحت مسمي العادات والتقاليد والقيود المجتمعية التي يتم فرضها تحت ستار الدين حتي تكتسب القدسية التي لا تقبل النقاش أو المجادلة وفي معظم الأحوال تخرج بنا عن التفسيرات الغوية بل والفقهيه التي يجب أن تُسَمي بها الأشياء حتي تصبح مع الوقت إحدي المسلمات البديهية التي تنسب للدين بالرغم من تعارضها مع أساسيات الدين في الأساس .

لماذا ننظر إلي الشهوة علي أنها معصية بالرغم من أن الشهوة في تعريفها اللغوي المطلق ليست إلا الميل نحو شئ ما والرغبة في تحقيقه أو إمتلاكه بدافع الحب . . ؟ ؟

لماذا نفزع عندما يتحدث أولادنا عن الشهوة وكأنها فعل شيطاني يخرج بهم وبنا عن الإلتزام الديني ويدخل بنا إلي دائرة المحرمات بالرغم من أن الشهوة ليست إلا غريزة فطرية جعلها الله سبحانه وتعالي في خلقه حتي يعزز رغبتنا في الحياة ويجعل من أفعالنا مردود لرغباتنا وليست فرض ينتفي به حق الإختيار . . . ؟ ؟ ؟

يقول الإمام الشعراوي في أنواع الشهوة ، أنها إما شهوة للحفاظ علي الحياة مثل المأكل والمشرب وإمتلاك الأموال التي بها تتحقق إحتياجاتنا البشرية لأستمرار الحياة ، أو إنها شهوة الحفاظ علي النوع وإستمرار النسل . وعندما أعطي الخالق القدير هذه الشهوة لمخلوقاته كانت عطيته حميده إذا ما أحسن المخلوق توظيف هذه العطية .

فالشهوة في مطلقها عطية حميدة من الخالق تهدف إلي راحة الإنسان وبث الحب في قلبه وهو يقيم حياته بواسطة شئ يحبه ويرغبه . ولكن عندما تستبد بنا شهوتنا ويتملكنا حب الشهوة ذاتها ويصبح الهدف هو الإستزادة من هذه الشهوة ، فإن هذا الحب هو الذي يخرجنا من عطية الرحمن إلي معصيته ، فإن كانت العطايا أبتلاء ، فإن الأبتلاء هو عطية بحد ذاتها لو كنتم تعلمون . . . ! ! !

والعجيب في الأمر أننا قد ننجرف لنطلق لفظ شهوة حيوانية علي شهوة الإنسان الحميدة التي تهدف في الأساس إلي الحفاظ علي الجنس وذلك عندما يستعملها الحيوان في مواسم تزاوجه بغرض المحافظه علي جنسه من الإنقراض فإذا بنا نعمم أي رغبة جنسية لتصبح شهوة حيوانية بالرغم من أن الحيوان بريء من هذا التعريف ومدلوله في المطلق .

زين للناس حب الشهوات . . . . هذه هي المشكلة التي يجب أن نتوقف عندها ، إنه حب الشهوات الذي ينجرف بنا من توظيف هذه العطية الآلهية الحميدة توظيفا سويا حسبما أراد لنا الله عز وجل ، إلي أن يصبح معصية نحاسب عليها وينتابنا الخوف من مجرد ذكرها بعد أن أختلطت علينا المفاهيم .

فالنساء شهوة للرجل جعلها العزيز الحكيم سبيلا لحفظ النوع وزيادة النسل ضمن محددات شرعية تضمن لنا سلامة هذا النسل وسلامته وطهارته وهذا هو بيت القصيد ، ولكن عندما تستبد بنا هذه الشهوة ويغلب علينا حبها ، نسقط في الخطيئة التي جعلها العزيز الحكيم من المحرمات التي لاتقبل الشك ولا اللبس .

والأولاد شهوة وهم يشكلون العزوة والسند والإستمرارية ولكن عندما تسبد بنا هذه الشهوة فلانري العزوة إلا في البنين ولا نري الإستمرارية في البنات ونحن نشعر أن البنات قد يجلبون العار لعائلتهم ، فهذه هي المعصية التي أدت بالأقوام السابقين إلي وأد البنات بعد أن حقروا جنسهم ، وهو ماقد نراه اليوم من دعاوي البعض للأسف .

ولأن الشئ بالشئ يذكر ، فإن المال هو العطية الآلهية التي يطمع فيها كل أبن أدم بالرغم من أن الرزاق الواسع قد أختص ذاته فقط بتوزيعها حسبما أراد وكيفما أراد وأينما أراد ، وبالرغم من ذلك لم ينكر العزيز الحكيم شهوة حب المال علي بني أدم لأنها حق مشروع نسعي جميعا إليه ، ولكنه أنكر علينا أن تتملكنا هذه الشهوة لتجعلنا نسلك الطرق التي حرمها الله سبيلا للأستزاده ورغبة في الكَنَز لتكون شهوة إمتلاك المال حلالا أكيدا ولكن حب هذه الشهوة وتبرير طرق الحرام في سبيل تحقيق هذا الحب المحرم . . . هو الحرام بعينه .

ولهذا أجدني علي قناعة أن العزيز القدير هو من أعطي هذه الشهوات لأبن أدم رحمة منه بنا حتي يزرع في قلوبنا الحب ويجعل من حياتنا أختيارا نقبله ونُقبِل عليه برغبتنا ، ولكن الشيطان لم يكن يترك نعمة أنعمها الله علي بني أدم إلا وتدخل فيها تصديقا لهذا الوعد الأبليسي أن لاتجدن أكثرهم شاكرين .

إنه الشكر . . . . نعم إنه الشكر هو الذي يجعلنا نقبل عطية الخالق مهما بدا لنا من صعوبة قبولها لأنه هو يعلم مكمن الخير وكينونته ، فمن لم يعطي السعة في الرزق فلعله خير له يمنعه من جبروت المال وتسلطه علي نفسه لضعف فيها ، ومن لم يعطي الولد فلعله خير له يمنعه عن ولد عاق يحيل حياته إلي جحيم لايطاق .

ولكن من لم يرضي بما قسمه له العزيز الحكيم وأستسلم لحب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة ، فهذا هو من كتب بيده علي نفسه الشقاء لأنه فقط لم يحسن توظيف النعمة التي أعطاها الله أياها من هذه الشهوات التي هي عطية خير فإذا به يتحول بها إلي نقمة أبتلاء كفانا الله شرها .

اللهم أكتب لنا الرضي بما قسمته وأجعلنا من الحامدين الشاكرين لنعمائك الراضين بعطاياك الصابرين علي قضائك المحافظين علي حدودك الراغبين بك أليك . . . .

اللهم أمين . . .

## ٣٠- وما كان لي عليكم من سلطان .....!!

اللهم لا علم لنا إلا ما علّمْتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علِّمنا ما ينْفعنا وانْفعنا بما علّمتنا وزِدْنا عِلما، وأَرِنا الحق حقاً وارْزقنا اتّباعه وأرِنا الباطل باطِلاً وارزُقنا اجْتنابه، واجْعلنا ممن يسْتمعون القول فيَتّبِعون أحْسنه وأدْخِلنا برحْمتك يا رحمن في عبادك الْمخلَصين.

يظلم الإنسان نفسه عندما يحيد عن طريق الحق البين ويتبع طريق الباطل وهو يحاول أن يقنع نفسه قبل غيره أنه مظلوم وأنه قد غرر به . . ! !

كلنا للأسف نقع في هذا الفخ الأبليسي عندما نحاول أن ننسب شرور أنفسنا وخطأ أفعالنا إلي وسوسة الشيطان أو إلي ظروف المجتمع وتدني الأخلاق من حولنا والظغوط التي تتعرض لها وكأننا قد فقدنا العقل لنحكم علي أفعالنا أو كأننا قد فقدنا القدرة علي الفعل وأصبحنا نعيش بردة الفعل فلا نفعل الخير إلا مع من أمنا شره، أما من فرض سطوته علينا، سرنا معه في طريقه متوهمين أنه هو من سيسأل عن أفعاله وأفعالنا وكأننا لم نقرأ في القرآن يوما هذه الأية من سورة البقرة ﴿ **إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾.

نعـم ، لن يُسأل أحد عن أفعالنا إلا أنفسنا نحن فقط مهما حاولنا تبرير هذه الأفعال وإيجاد الأسباب التي تجعلنا نستحل الحرام وكأن العزيز القدير سيأخذنا بما سنقدمه من مبررات وهو الذي يعلـم مانضمره في نفوسنا ، إنه هو علام الغيوب .

عندما تجور علي حق عبد من العباد ، فلاتقنع نفسك أنك تستطيع أن تأخذ حقك بظلـم ، فالحق العدل سيأخذك بفعلك كما سيأخذه هو أيضا بفعله كلا حسب نيته لا حسب مبررات فعله . فمبرراتك التي ستسوقها في الدنيا قانعا نفسك أنها تعطيك الحق في أن تأخذ حقك بأن تجور علي حق الآخرين ، لن تمنعك أبدا من علام الغيوب .

لن يغنيك أبدا يوم موقف عظيـم أن تبرر للخالق العظيـم أكلك حقوق الناس لأن فلان أخبرك بسوء نية هذا الشخص الذي أستحللت حقه لتظلـم نفسك قبل أن تظلمه ، لأن في هذا الموقف العظيـم سيتبرأ الذين أُتبِعوا من الذين أتَبَعوا وستتمني وقتها أن تعود بك الحياة لتتبرأ منهـم كما سيتبرأوا هـم منك ولكن هيهات . . . . هيهات ، فقد مضي وقت العمل إلي وقت الحساب حيث تكون أعمالهـم حسرات عليهـم والعياذ بالله .

بل أن الأمر لا يقف علي المبررات التي قد يسوقها أبن أدم ، فنحن نظلـم أنفسنا أشد الظلـم عندما نحاول أن نقنع أنفسنا أن أخطائنا هي من فعل الشيطان لضعف فينا . فقد أخبرنا عز من قال أن الشيطان ليس له علينا سلطان وهذا هو شق العهد الألهي الذي نحاول جاهدين أن نغفله عندما طلب أبليس من العزيز الحكيـم أن يكون من المنظرين .

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾

لقد أعطي العزيز الحكيم العهد لأبليس أن يكون من المنظرين إلي يوم البعث ، ولكنه هذا العهد كان مشروطا بأن أبليس لن يكون له علينا سلطان ولن يستطيع أن يأخذنا إلي طريق الغواية إلا . . . . . من غوي . . ! !

هل فكرتم يوما في هذه الآية بهذا الشكل ، إننا لن نستطيع أبدا أن نجعل من أبليس سببا لانحرافنا عن طريق الحق ولا مبرر لظلمنا كما لن ينفعنا أن نجعل من قول صديق أو خوف علي الولد أو طلب زوجة أو حجة موظف سببا لأثم نقع فيه أو ظلم نرتكبه .

بل أن العزيز الحكيم لم يكتفي بهذا البيان الواضح الغير قابل للبس ، حيث أوضح لنا الصورة يوم الموقف العظيم عندما سنأتي الحق العدل متعللين بوسوسة أبليس فإذا به ينكص علي عقبيه وهو يقولها واضحة جلية ، وما كان لي عليكم من سلطان تصديقا لقول العزيز الحكيم في سورة أبراهيم ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۝ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۝ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۝ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۝ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۝ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

بل أن العجيب جدا في الأمر ، أن العزيز الحكيم قد وضح لنا جميعا كيف سنقع في هذه المكيدة الأبليسية حتي نستطيع أن نقي أنفسنا وأهلينا نارا عندما قال ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** ﴾. فجل مايفعله أبليس هو أن يسير أمامنا في طريق الغواية ، فقط سيسير أمامنا ليتبعه الغاوين إلا عباد الله المُخلَصِين الذين يصدقون أن أبليس ليس له علي بني أدم من سلطان كما أخبر العزيز الحكيم وكما أقر أبليس علي نفسه .

إن السر كله لكي نحيا حياة سوية هو في أن نأكل مما في الأرض . . . . فقط حلالا طيبا .

لا تستحلوا الحرام ، بل إجتهدوا في البحث عن الحلال وأتركوا ماتشابه عليكم وأعلموا أن الحق صعب المراس والباطل أسهل علي نفس الإنسان طالما ساق له عقله من المبررات مايجعله يستسيغ هذا الباطل .

فالأنسان بطبيعته يجد صعوبة في أعطاء ذوي الحق حقوقهم تحسبا لغد قد لا يدركه أو طمعا في رزق قد لا يكون مقدورا له أو تشفيا في ظلم خُيل له ، فيجعل من سهولة الإستحلال مبررا لأيقاع الظلم بالآخرين مستندا إلي قول هذا أو رأي ذاك .

فإن لم يجد من يثنيه عن ظلمه أرجعه إلي وسوسة الشيطان وهو يمني نفسه بأن الله غفور رحيم متناسيا أن الغفور الرحيم هو أيضا الحق العدل الذي سيقضي بيننا جميعا بعدله حتي يقتص لكل ذي حق ممن ظلمه .

والشاهد أن العزيز الحكيم عندما أعطي العهد لأبليس قال له أنه لن يكون له علينا . . . سلطان . . . ! !

بينما نجد أن أبليس عندما تحاور مع أهل النار قال له أنه لم يكن له عليهم . . . من . . سلطان . . . . ! ! !

سبحان الله ، فهاهو أبليس يقر أنه لم يكن له علينا ولو جزء بسيط من السلطان لأن القادر قد نزعه كل السلطان علي بني أدم . . . سبحان الله . . . . ! ! !

أفيقوا ياعباد الله ، فالدنيا زائلة بكل ماسيأتينا فيها من نعم . . . ! !

أفيقوا ياعباد الله ، فأعمالكم ستوزن عليكم ولن ينجيكم أبدا كل ماتسول لكم به أنفسكم من الإستجراء علي الحق بالباطل . . . . ! ! !

أفيقوا ياعباد الله ، فكلنا سنقف يوم موقف عظيم مجردين من قوتنا وسطوتنا وجاهنا . . . إلا من أتي الله بقلب سليم . . . ! !

اللهم أرزقنا قلبا سليما نفرق به بين الحق والباطل ولاتجعل يا حكيم يا عزيز فتنتنا في عقولنا وأنطق يا حق بالحق ألسنتنا وأجعلنا يا رحمن يا رحيم من عبادك المُخلَصين وأرزقنا يارزاق ياواسع منك مغفرة ورحمة تدخلنا بها الجنة بغير حساب ولا سابقة عقاب ولاعتاب يا حي يا قيوم . . . . يا الله . . . . يا الله . . . . يا الله .

هذا الكتاب ليس بتفسير لأيات القرآن ، فتفسير القرآن علم له خصوصيته وخصائصه . ولكنه فقط رؤية وتفاعل مع وقع بعض الآيات وكلمات القرآن علي نفس الكاتب . . .

فإن لاقت إستحسانكم وقبولكم . . . فالحمد لله من قبل ومن بعد .

عندما يخبرنا المولي أنه ليس كل من سيدخل النار سيخلد فيها ، فهذه بشري رحمة ومغفرة وأملا في النجاة ولو بعد حين بمشيئة الرحمن الرحيم .

ولكن كيف يمكن أن نتقبل فكرة أن الخلود في الجنة أيضا مرهون بمشيئة الرحمن إذ يقول: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ) . . . . هل من الممكن أن نخرج من الجنة بعد أن ندخلها . . . ؟؟

أسئلة كثيرة دارت بعقلي وأنا أقرأ القرآن وظلت تصارع تفكيري حتي أجد لها تفسيرا مقبولا :

لماذا بدأت الفاتحة بالحمد لله وليس الشكر لله وماهو الفارق بين الحمد والشكر . . ؟؟

لماذا كان إستعمال يعقلون في بعض الأيات، ويتفكرون ويتدبرون في أيات أخري . . ؟؟

لماذا قال الخضر أردت ثم أردنا ثم أراد ربك . ماهذا التدرج في الفعل وماهو الفارق . . ؟؟

القرآن له نفحات وتجليات كثيرة يكشفها الرحمن لمن شاء أن يهتدي . . وأسأل الرحمن أن أكون منهم ،فإن أصبت فالحمد لله علي أن بصرني . . . وإن أخطأت ، فالحمد لله أن بصربي .

د . م . محمد وجدي شاهين . . . . . كاتب ومفكر . . . . مصري